شرائح

رواية

أحمد دسوقي

obeikandl.com

٢٩

أحمد دسوقى

سراج
١٦٥٨٣/ ٢٠١٤ط١

الترقيم الدولى / ٤- ٩٢ - ٥٣١١ - ٩٧٧ - ٩٧٨
غلاف / ضياء إبراهيم

حقوق الطبع محفوظة لدى الناشر

ليليت للنشر والتوزيع

الإشراف العام / إيمان سعيد
رئيس لجنة قراءة د/ سالم اراهم سالم

مدقق لغوي أ/ محمد فهمى
المراسلات : ٢٤ ش سيد درويش
كوم الدكة - إسكندرية
ت : ٠١٢٢٤٢٧٢٣٢٧
: ٠١٠٢٢٦٦١٦٣٢
Dar.lilitte@gmail.com
lilettepublishing@gmail.com

obeikandl.com

إهداء

إلى الإسكندرية..

obeikandl.com

obeikandl.com

إنهـا جزيـرة فـاروس منـذ أكثـر مـن ألـف سـنة قبـل المـيلاد، ظلمـات وعتمـات، عواصـف وألغـاز، أمطـار وأسـرار، وشـعب يعبـث بـه الأشـرار، إنهـم مقصـرون لكـن أسـلافهم مجرمـون، والجميع عانى ولا زالوا يعانون.

الجميـع ضـاع ولازالـوا يضـيعون، الجميـع تـاه في الأوهـام، الجميع انجرف مع التيار حتى جاء فاروس العظيم .

obeikandl.com

obeikandl.com

الجـو عاصـف، والبـرد قـارس والريـاح شـديدة، والأمطـار تنهـال بغـزارة على المنـازل والطرقـات، والجزيـرة سـاكنة كأنهـا مترقبـة صـفعة مـن البحـر ومـا العجـب؟ فقـد نالـت الكثيـر مـن الصـفعات منـه، لكنهـا لازالـت صـامدة متماسـكة شـامخة أمـام ذلـك البحـر الطـاغي العـاتي .. إنهـا مظلمـة... الظلمـة تحـيط بهـا مـن قبـل غـروب الشـمس بسـبب السـحب الكثيفـة المتكونة بفعل الرياح.

كـل أهلهـا يجلسـون في المنـازل مغلقـين النوافـذ والأبـواب. يضـيئون قناديـل الزيـت، ويجلسـون حولهـا؛ ليشـعروا بـبعض الـدفء، لكـن هيهـات لهـم ذلـك مـع تلـك البرودة التي لـم تـأتِ من سنوات.

وطرقـات الجزيـرة خاويـة علـى عروشـها لا يشـغلها إلا الطحالـب الصـفراء والحمـراء، والخضـراء .. تلـك الطحالـب التي حملهـا التيـار مـن البحـر إلى الشـاطئ، وظلـت تتقلـب على الرمـال الرماديـة في الطرقـات الضـيقة لا يعوقهـا إلا قطـع صغيرة من شبك الصيد المتهلهل القديم.

تتحـد الطحالـب والشـباك المتهالكـة في الصـراع مـع الريـاح العاتيـة .. حتـى يصـل تعاونهمـا وإشـفاقهما علـى بعضـهما الـبعض إلـى عنـاق دائـم، فـيظلان متلاحمـين متشـابكين في

obeikandl.com

طرقات الجزيرة في انسجام تام، فلا تكاد ترى قطعة شبك إلا وتجدها ملتحمة بطحالب بمختلف ألوانها.

وقطع أسفنج تتقلب على الرمال الرمادية، ويشم منها رائحة البحر .. إن جمال الجزيرة يتجلى في الشتاء، لكن لا أحد يهتم بذلك الجمال، فالجميع مشغول بالبحث عن لقمة العيش .. العواصف والأعاصير تصدر أصواتًا مخيفة، ولا صوت يعلو في الجزيرة فوق صوت الرياح.

الطرقات خالية من أي إنسان أو حيوان حتى القطط التي كانت تقف عند الميناء تلتقط السمك الصغير الذي يلقيه لها الصيادون، أو الذي يسقط من السلال الخوص، التي يحملها الصيادون، لم تعد تقف وهي الآن تختبئ في القلعة القديمة المهجورة.

كل النوافذ ببيوت الجزيرة مغلقة، وتصفر صفيرًا متتابعًا ينقطع قليلًا للحظات، ثم يعاود أشد مما كان ..

البيوت ساكنة، لو رآيتها ظننت أن لا أحد يسكنها، فالجميع مغلق الأبواب، ولا أحد يدخل أو يخرج .. لا يوجد خارج الأبواب شيء ثمين يخاف عليه إلا هلب حديدي قديم، أكله الصدأ، وتملك الصدأ من شعابه الثلاث، موضوع بجوار

منـزل لأحــد الصــيادين .. الأبــواب تطرقهــا الأجــزاء الخشــبية الصغيرة التي تدفعها العواصف ناحية أعقابها.

إنهــا الأجــزاء الخشــبية المتبقيــة مــن المراكــب الغارقــة، فقــد تفتـت تلـك القـوارب مـن كثرة اصـطدامها بالصـخور، وحملتهـا الأمواج مع التيار إلى الشاطئ.

ولا تتركهـا الريـاح ملقـاة علـى شـاطئ الجزيـرة وحسـب، ولكنهـا تجـول بهـا في طرقـات الجزيـرة وهـا هي تطـرق الأبـواب بصـوت رفيع يتتابع أحيانًا وينقطع أحيانًا .

إنها لغة سرية خفية.

إنهــا رســالة مــن أرواح الغرقـى فـي البحــر، إنهــا رســالة مــن أصـحاب تلـك القـوارب المتفتتـة إلى ذويهـم في تلـك البيـوت، فكـل عـام يفقـدون عزيـزًا مـن أعـز أهلهـم ممـن ركـب البحـر لجلب قوته وقوت أهل بيته.

فلأجـل أكـل لقمـة العـيش ركـب الإنسـان البحـر وصـارع الأمـواج وغـاص في البحـار يبحـث عـن اللؤلـؤ والمرجـان؛ ليسـتخرجه لمـن يسـتطيع أن يجعلـه زينـة وزخرفًـا، لمـن يقـدر علـى دفـع ثمنـه مـــن أهـــل التـــرف والنفـــوذ، لمـــن اســـتوفى الأساســـيات والاحتياجـات والأوليـات، وهـاهو يبحـث عـن الكماليـات وعـن

المظـاهر والتـزين بمـا غـلا ثمنـه ونـدر، لكـن تلـك هـي الحيـاة أناس تعاني وغيرهم يتنعم..إنها لقمة العيش.

لقمة العيش

لتحصل عليها أمسك نار

تحمل ذل وتحمل عار

خلقت إنسان

خلقت محتاج

خلقت بفم وجوف وأحشاء

كم ضاعت من أفكار

كم ضاعت من أنوار

بحثًا عن لقمة عيش

بحثًا عن لقمة نار

أخرجها من فمك لفم الصغار

أما أنت فأسدل الستار

ليتني بلا حاجات...

فبئس التنازلات!!

الجميع يشتري ويبيع

الكل يضيع

من أجل لقمة عيش

obeikandl.com

من أجل لقمة نار

فالجزيرة التي يحيط بها البحر من كل جانب أغلب أهلها يشتغلون بمهن الصيد، وركوب البحر بحكم الطبيعة الجغرافية لموطنهم، وموطن آبائهم وأجدادهم من آلاف السنين.

فمنهم من يشتغل بنقل المسافرين عبر الجزر والبلاد، ومنهم من ينقل البضائع والحاجات،والأغلبية منهم يشتغلون بمهنة الصيد، لكن تتنوع أساليب صيدهم حسب طريقة الصيد التي ورثوها عن آبائهم.

الصيد مهنة الغالبية من أهل الجزيرة، والقليل يعمل في الحرف الأخرى، كالتجارة والصناعة وغيرها من المهن لجلب لقمة العيش، الجميع يعاني ... الإنسان يعاني في كل مكان، لا أحد مستريح على وجه الأرض إلا الأشرار، فمن بداخله خير لابد أن يعاني أو يتألم على البؤساء، وعندما يأتي الشتاء يظل الجميع في المنازل يتقوتون بما ادخروه في الأيام معتدلة الطقس، فلديهم السمك المملح الذي يعيش لفترة طويلة ولايفسد ولديهم الحبوب والغلال.

وكل بيت وله أسراره.

جميع المنازل مغلقة الأبواب إلا بيت فاروس.

obeikandl.com

إن أهل ذلك البيت يعانون معاناة نفسية شديدة. إنه الإحساس بالخوف، والفزع على رب بيتهم الصياد فاروس وأبنائه.

إنه البيت الوحيد المفتح الأبواب!

فماريا زوجته، وابنها تيتي الرضيع على يدها، وبنتها مياسا، وابنها عوس المعوق ذهنيًا يقفون على الباب.

ينتظرون فاروس وأبناءه الثلاثة حسنس وعوكلس ولادس في فزع وخوف من المجهول.

ففاروس وأبناؤه الثلاثة خرجوا للصيد في البحر بقاربهم الصغير منذ ثلاثة أيام ولم يعودوا إلى الآن، ولم يركب البحر في ذلك الطقس السيئ إلا مركبان، مركب فاروس وأبنائه، ومركب عبرس وابنه، واليوم قامت عاصفة شديدة، وجاءت أنباء عن تحطم قارب عبرس وغرق عبرس وابنه أمس.

فقد خرجت جثة ابنه على شاطئ ميناء الجزيرة، ومات عبرس، ولم تخرج جثته، فقد أخذه التيار إلى أعالي البحار بعدما حطمت الأمواج الغاضبة قاربه، فكانت تحمله وتصدمه بالصخور.

أمـا فـاروس وأبنـاؤه الثلاثـة، فهـم مسـاكين لايزالـون فـي البحر، يصارعون الأمواج وأي أمواج ؟

إنهـا أمـواج كالجبـال، أمـواج بينهـا وبـين الجزيـرة ثـأر قـديم وصـراع طويـل، تفـوز فيـه الأمـواج دائمًـا بمـرور الزمـان، وتأكـل جـزءًا مـن أطـراف الجزيـرة حتى أصـبحت الجزيـرة لا تزيـد عـن ألف بيت بعدما كانت كما قال الأجداد أكبر من ذلك بكثير.

ويزيـد خـوفهم خوفًـا وقلقهـم قلقًـا خـوف ماريـا علـيهم مـن وحـش يسـكن البحـر، لا يـرحم، ولا يقبـل توسـلات. إنـه حصـان البحـر السـاخر. ذلـك الحصـان البحـري الكبيـر جـدًّا، السـاخر الضـاحك ضـحكات شـريرة، الـذي يرعـب الجزيـرة كلهـا منـذ قـرون طويلـة، يحطـم السـفن ويأكـل الصـيادين المسـاكين. قيـل إنـه يكـره الصـيادين جميعًـا، أطفـالًا مـنهم، وشـبابًا وشـيوخًا. لـم يـره أحـد، ولكـن الكثيـر سـمع عنـه مـن آبائهم وأجدادهم.

إنـه حصـان بحـري أكبر مـن الحـوت، طولـه تقريبًـا كمـا سـمعنا ألف ذراع، عيناه كأنها جمرتا نار تشعان لهيبًا وتوهجًا.

وعنـدما يغضـب يُخـرج نـارًا مـن فمـه تحـرق كـل مـن يقـف أمامـه، لـه ذيـل طويـل ملفـوف مرصـع باليـاقوت والزبرجـد الأخضـر والمـاس، ورأسـه مرفـوع عليهـا الشـعر الـذهبي المنفـوش

obeikandl.com

الـذي يصـل للسـماء، فهـو أعلى مـن سـاري المراكـب الأعـلام.. إذا مرت بجانبه مركب نهارًا لا ترى الشمس.

لا يخـاف أحـدًا ولا يعبـأ بمقدسـات، ولا توسـلات ولا يعـرف الرحمة.

كلمـا ازداد النـاس لـه توسـلًا كلمـا ازداد سـخرية وضـحكًا علـيهم. ضـحكاته متقطعـة شـريرة مفزعـة.. إنهـم جميعًـا يسمعونها.

فهـي الصـوت الـذي يخـرج مـن السـحاب عنـدما تكـون العاصـفة شـديدة!وقبـل أن يخـرج صـوت ضـحكاته الشـريرة، الجميـع يـرى ضـوء أسـنانه البـراق، الـذي إذا سـقط علـى الشـجر أحرقـه! قيـل إنـه قضـى على مركـب بجميـع ركابـه ولـم ينـجُ منـه أحـد، وقيـل إنـه قضـى على أسـطول بحـري كامـل مـر بجانبـه. وقيـل إنـه وجـد شـاباً يقـرأ كتابًـا عنـد الشـاطئ بعـد غـروب الشـمس، فأصـدر ضـحكاته الشـريرة وصـوته المخيـف، وقتل ذلك الشاب.

وقيـل: إنـه غاضـب مـن يـوم أن طلـق زوجتـه عـروس البحـر، تلـك الجنيـة الكبيـرة، التي كانـت شـديدة الجمـال ومـا لبثـت أن تحولـت شـديدة الدمامـة بعـدما طلقهـا، ولكنهـا تتـزين وتخفـي شـكلها الحقيقـي القبـيح، وتجلـس على الصـخور في أطـراف

obeikandl.com

الجزيـرة تغـوي رجالهـا وتمـد يـدها لهـم، ومـا أن يُعجـب بهـا رجـل مـنهم ويسـتجيب إلى تلـك الإغـراءات ويمسـك بيـدها إلا وتسـحبه إلى أعمـاق البحـر، ولا تبقـي لـه أثـرًا .. أمـا بنتـاه النـداها وأم شـوكة فتسـعيان فـي الجزيـرة فسـادًا، فجميـع أهـل الجزيـرة يخـافون الخـروج بعـد غـروب الشـمس خوفًـا منهما.

النـداها تلـك الجنيـة التي تـأتي بجـوار أي بيـت لـيلًا وتنـادي على مـن تريـد أن تقتلـه بصـوت أحـد مـن أقاربـه أو أصحابه فيخـرج ليلبي نـداء ذلـك الصـاحب أو القريـب فمـا يجـد إلا خنجرها المسموم في قلبه .

وأم شـوكة الأخـت الصـغرى لهـا، لهـا سـيف في يـدها مـا إن تجـد رجـلًا أو سـيدة أو بنتًـا أو صـبيًا أو شـيخًا أو عجـوزًا يسـير بمفـرده لـيلًا إلا سـارت خلفـه حتى تجـز رأسـه بالسـيف وإذا جرى منها تجري خلفه .

ولكـن قـال أهـل الجزيـرة القـدماء : إن الضـحية إذا غيـرت طريقهـا وانحرفـت يسـارًا أو يمينًـا تمـوت أم شـوكة؛ لأن لهـا شـوكة كبيرة برقبتهـا إذا انحرفـت عـن مسـارها تـدخل الشـوكة في رقبتهـا وتمـوت!، ولا أحـد يعلـم إن كانـت مـا زالـت حيـة أم ماتت !

إن الحصان البحري الساخر، وزوجته وبنتاه يرعبون الجزيرة على مر العصور السحيقة السابقة وإلى ذلك الشتاء القارس وتلك الحظة المفزعة التي تعيشها عائلة فاروس.

يقول كهان المعبد من أهل الجزيرة: لإرضاء الحصان البحري الساخر، لابد من أن يدفع كل رجل من أهل فاروس عشرة دنانير ذهبية كل عام للكهان . وكل رجل يركب البحر لابد من أن يسقط شريحة من جلده في البحر تعبيرًا عن خضوعه للحصان الساخر، ولا يترك أحدًا يمر إلا من رمى في البحر تلك الشريحة، أو يرمي زهرة تعبر عن أعجابه بجماله وجمال ذيله. ذلك الذيل المرصع بالياقوت والماس والزبرجد الأخضر.

مقابر ومنازل ومعابد وسوق وميناء!

مقابر شرق الميناء، تربط أهل القرية بأجدادهم وأسلافهم القدماء، مقابر جمعت الغني والفقير، جمعت البسيط والأمير، جمعت المريض والسليم.

مقابر شاهدة على الحقيقة الأبدية، الموت .. ومنازل من طابق واحد منتشرة في الجزيرة بشكل عشوائي، وينتشر بينها الطرقات الضيقة، ومعبد فرعوني قديم متهالك

تـداعت أركانـه، والمعبـد الكبيـر للحصـان البحـري السـاخر، وسـوق يبـدأ مـن عنـد شـاطئ الميناء، يشـق الجزيـرة نصـفين يقصـده الجميـع للبيـع والشـراء، وميناء عتيـق يحتضـن المراكـب المسـتقرة فيـه ويحميهـا مـن التيـارات البحريـة خـارج الميناء، أما منزل فاروس فهو مطل على بوابة الميناء.

تلـك البوابـة التي يعبر منهـا الصـيادون عنـدما يـذهبون للصـيد أو يعودون.

الترقـب يمـلأ البيـت، ويمـلأ الأفئـدة، وعـين الأم ماريـا وبنتهـا على بوابة الميناء.

وفجـأة! يظهـر رجـل جـاء مـن ناحيـة الميناء ولا تظهـر لـه ملامـح من شدة الظلمة، ثم يسمعون صوتًا من بعيد ينادي :

أمي أمي.

فتقـول ابنتهـا مياسـا إنـه حسـنس يـا أمي عرفتـه مـن صـوته، تنظر الأم في تلهف ممتزج بالفرحة.

نعم نعم، وأنا شعرت به قبل أن يتكلم.

ابني حسنس.

ابني حسنس .

علـى الـرغم مـن صـغر سـن مياسـا، فهـي لـم يتعـدَّ عمرهـا السـبع سـنوات، لكنهـا واعيـة لمـا يـدور مـن حولهـا، وتتطلـع لكي

obeikandl.com

تبشر أمها بمجيء أبيها وإخوتها سالمين، فتراقب ذلك الرجل القادم في الظلام وتعاود فتقول: إنه يقترب.

ما إن أوشك على الوصول دفق قلب ماريا،

ولم تتمالك الأم ماريا نفسها فقد شعرت به،

على الرغم من ذلك الظلام الدامس، فإن قلب الأم لا يساويه قلب في الاحساس بولدها، تيقنت ماريا أنه ابنها حسنس.

فبادرته بالحوار: ابني حسنس.

ابني حسنس أين أبوك وإخوتك؟

أجابها حسنس وهو سعيد برجوعه سالمًا وسعيدًا بأنه جاء سريعًا ليطمئنها : إنه بخير وإخوتي بخير.

دخلت الأم وأبناءها داخل البيت، فقد عانت هي وابنها الرضيع والآخر المعاق، والطفلة من تلك الوقفة تحت الأمطار المنهمرة بغزارة وفي تلك العواصف.

لكن كلمة إنه بخير من حسنس لم تشبع شغف الأم بجميع التفاصل التي تؤكد الطمأنينة في قلبها فتعاود سائلة : أين هم ؟

ينظر حسنس لأمه وهي في تلك الحالة نظرة المشفق، فيخبرها بمكانهم ويخبرها بشيء مما يغيب عنها :

obeikandl.com

إنهم عند شاطئ الميناء يقفون عند السمكة.

تعجبت الأم من تلك الإجابة، ويدور في ذهنها لماذا يقفون عند شاطىء الميناء في ذلك الطقس السيئ وتلك الأمطار المنهمرة والرياح العاتية، فتستفسر عن أمر السمكة التي يقفون بجانبها :

أي سمكة؟

شعر حسنس أن الأم شغوفة بالتفاصيل لتطمئن تمامًا فلم يبخل عليها بها وقال لها :

إننا يا أمي رأينا الموت بأعيننا في البحر. كدنا نغرق ولم نصطد شيئًا، وعندما اقتربنا من الجزيرة ونحن نصارع الأمواج، إذ بنا نرى سمكة تونة كبيرة قد ماتت، لا تتحرك ملقاة على ظهرها على صخرة الكور، تلك الجزيرة الصغيرة القريبة من جزيرتنا ففكر أبي فيها،وقال لنا :

يا أبنائي تلك السمكة ثروة لو رجعنا بها إلى الجزيرة.

فسألته : وكيف نرجع بها يا أبي ونحن ما لدينا إلا شبكة صيد صغيرة تصطاد السمك الصغير ولا تقدر على شبك أو الإحاطة بتلك السمكة العملاقة؟

أجابنا وهو يتأمل في السمكة من بعيد : لديّ فكرة إذا نجحت سنوفر قوت ذلك الشتاء .

obeikandl.com

فقلت: فما هى يا أبي؟

فأجابني وهو يفكر ووجهه متجه للسمكة: نشبك السمكة بالهلب الحديدي الكبير ونسحبها خلف المركب حتى شاطئ الميناء، فإن السمكة ملقاة على ظهرها، وهي بالأكيد ميتة والسمكة إذا ماتت تطفو ويسهل سحبها على سطح الماء، ولكن القلق كان ينتاب عوكلس طوال تلك الرحلة من ركوب البحر في الشتاء وذلك الطقس، ومن خوفه من الحصان البحري الساخر وظهر قلقه أكثر عندما اعترض على ما يقوله أبي قائلًا :

يا أبي إنها سمكة كبيرة جدًّا كيف نسحبها خلفنا؟ فقد تسقط إلى القاع وتأخذنا معها وتكون نهايتنا على يديها بدلاً من الموت على يد الحصان البحري الساخر.

ولكن أبي طمأنه قائلاً:

يا عوكلس إن السمكة الميتة لا تسقط إلى القاع إنما تطفو على السطح وبمجرد سحبها سيحملها البحر، وستكون طوع أيدينا .

لكن قلق عوكلس كان لايزال موجودًا، فاستفسر عن الطريقة التي يريد أبي أن يستخدمها في صيدها، فإن

عـوكلس يعلـم كـل طـرق الصـيد، ولا يعلـم طريقـة تناسـب تلـك السمكة الكبيرة.

وكيف نسحبها يا أبي ؟

فأجابـه أبـي بطريقـة مبتكـرة لـم يسـتخدمها أحـد مـن قبـل، وساعده على ذلك كون السمكة ميتة :

نشـبكها بالهلـب الحديـدي الـذي معنـا، ثـم نلـف الحبـال عليهـا؛ لنحكم الربط، ثم نسحبها خلف القارب.

حسـنس يحكي، والأم ماريـا تسـمعه مستبشـرة، وقـد اطمأنـت علـى زوجهـا وعلـى أبنائهـا الثلاثـة، وزاد مـن سـكينتها وطمأنينتهـا على قـوت عيشـهم سـماعها الحـديث عـن السـمكة الكبيرة التي صادوها ويقفون بجانبها بالميناء.

ومـا إن سـمعت مـا قالـه حسـنس إلا ودفعهـا الفضـول لإطالـة الحـديث الـذي لا يقلقهـا وهي في حالـة أفضـل ممـا كانـت عليـه عندما رأته:

الهلـب الحديـدي ذو الـثلاث شـعب الحديديـة الـذي تربطونـه بحبـل حريـري تلقونـه في المـاء قـرب الشـاطئ حتى يحكـم المركب ولا تتحرك في الميناء ولا يأخذها التيار بعيدًا؟

إن الأم ماريـا على الـرغم مـن أنهـا لـم تركـب البحـر يومًـا مـا، لكنهـا تعلـم جميـع معـدات الصـيد، وتعلـم بعـض متعلقـات

obeikandl.com

القوارب، كذلك تعلم معظم أنواع السمك بحكم احتكاكها بالصيادين، فأبوها صياد وزوجها صياد، وأبناؤها صيادون.

ويريد حسنس أن يؤكد لها ما تعرفه عن الهلب الحديدي، فيقول لها :

نعم إن الهلب الحديدي عندما يستقر على الصخور في قاع البحر داخل الميناء يتعلق بها نتيجة لتشعبه ثلاث شعب، فيشد الحبل الحديدي المربوط في المركب، فيتحكم في المركب داخل الميناء. فيكمل حسنس حديثه وهو ينظر في عين أمه وهو سعيد برؤية الفرحة والاستبشار في عينيها: فما وجدنا شيئًا نربط به تلك السمكة الكبيرة الحجم، إلا الهلب والحبل، وخلال ذلك الحديث الشيق الممتع، ينظر عوس المعاق ذهنيا ضاحكًا لحسنس، وكأنه اطمأن أيضًا على إخوته ويعبر عن ذلك بتلك الضحكات غير المنتظمة الناتجة عن انفعال غير منتظم أيضًا .. ولكنه الاحساس بالسعادة، الذي لا يفرق بين غني أو فقير كبير أو صغير، عاقل أم مجنون.

كذلك تيتي الرضيع يحبو على أرض الغرفة تجاه حسنس ويداعبه في رجليه بيده الصغيره .

لازالت الأم ماريا شغوفة بما حدث في تلك الرحلة، وقد لاحظت انشغال حسنس بفرحة إخوته به، فتعاود وتستكمل تفاصيل تلك الرحلة، ظنًّا منها أن حسنس قد استكفى بما قال فتسأله : ومن شبكها بالهلب؟

فلما وجد حسنس أن أمه شغوفة بقصة صيد السمكة، أكمل الحديث بثقة أكبر، وتيقن من أن أمه لن تمل من سماع الكثير عن تلك الرحلة : أبي.

فقد صعد أبي عليها، وشبكها من فمها الكبير بالهلب الحديدي ذي الثلاث شوكات الحديدية، ثم رفع غطاء الخيشوم بيديه الاثنتين، ثم ربط من أسفل ذلك الغطاء، وسحبناها بالقارب حتى الميناء، فالموت جعلها طوع أيدينا.

كم انتصر الموت على طغاة وجبابرة .. كم جعل الموت الأسود طعامًا للضباع.. ويقف هو وعوكلس ولاداس ينتظرون الشمس تشرق حتى يأتي التجار عند الميناء كعادتهم يوميًّا ويقوم ببيعها ثم يعود هو وإخوتي، فتبدأ الأم في الإفصاح عن أسباب خوفها والبواعث التي دفعتها للهلع والفزع عليهم: كنت أخاف عليكم الغرق وأن يفترسكم الحصان البحري الساخر.

فيشاركها حسنس تفهمه لتلك المخاوف قائلًا:

obeikandl.com

ونحن يا أمي كنا في فزع وخوف من الغرق، ومن أن يجدنا الحصان البحري الساخر، وما اطمأنت قلوبنا إلا بعد أن وضعنا قطع الجلد في البحر في أماكن كثيرة ووضعنا زهورًا كذلك، وهو يضحك ضحكاته المرعبة التي نسمع صوتها في السحاب ونزداد فزعًا، وقبل اقترابنا من الجزيرة وجدنا السمكة ملقاة على جزيرة الكور الصغيرة، فاقتربنا منها وصِدنا السمكة على كل ما بنا من خوف وتعب وهلع، وأتينا بها. إنها ياأمي أكبر سمكة تم صيدها في تاريخ الجزيرة لم يصطدْ أحد من الجزيرة مثلها من قبل، فهي أكبر من ذلك البيت الذي نعيش فيه.. الجوع دفعنا لذلك العمل المشرف، فالجوع أقوى من الخوف يا أمي.

وبعد أن سمعت ماريا من ابنها القصة كاملة بكل تفاصيلها ولأحداثها.. حللت تلك القصة وذلك الصيد الذي صادوه حسب ما استقر في ذهنها من معتقدات وتعاليم تعلمتها وهي صغيرة في معبد الحصان البحري الساخر، وتوصلت إلى أن تلك السمكة هي نفحة الحصان البحري هذا العام للجزيرة، فأخبرت أبناءها قائلة: إنها المبروكة، إنها المبروكة. يا سعدنا يا سعدنا .

سمع حسنس مصطلحًا لم يسمعه من قبل.كذلك أخوه عويس وأخته مياسا لكن ما يصلح للسؤال إلا حسنس فالسؤال نصف العلم، فسأل أمه عن ذلك المصطلح فإنها لها خبرات كبيرة فى الحياة : ما هي المبروكة يا أمي؟

فأجابته الأم ماريا وكلها إيمان بتعاليم الحصان البحري الساخر:

يا ابني إن المبروكة وفرة وزيادة كبيرة تأتي كل عام في شيء ما مختلف تمامًا عما جاءت فيه في العام السابق،فعام تأتي في الإنجاب، فتجد جميع نساء الجزيرة تلد بنات

وعام تأتي في الفاكهة، فتجد الفاكهة كثيرة بأبخس الأسعار.. وتنتقل من عام لعام في فاكهة أخرى .. فتجدها عامًا فى فاكهة التين .. وعامًا آخر في البلح وهكذا.. ومرة تجدها في الخضراوات .. ومرة تجدها في الحبوب.. وقد جاءت هذا العام في سمكة أبيك يا حسنس!

تعجب حسنس من موضوع المبروكة هذا فسأل أمه قائلًا: من أين تأتي هي يا أمي؟

سعدت أمه بذلك الاستفسار، فكل إنسان يتمنى أن يكون ابنه أكثر إيمانًا منه بما يعتقد به هو وأكثر اتباعًا.. فتلحقه

بما يشفي صدره ويزيده إيمانًا على إيمانه الذي ظلت تزرعه في قلبه يومًا بعد يوم.

إنها عطية الحصان البحري الساخر. هكذا قال عيطا الكاهن وقالت جدتي لي عندما كنت صغيرة فقد كانت تحكي لي حكايات عن المعبد قبل النوم.

حسنس يسمع وهو شغوف لسماع حكاية من تلك الحكايات.. وأخته مياسا نامت وهي تسمع قصة السمكة بمكان جلوسها، فقد اطمأنت على أبيها وإخوتها، وبعد أن أوصلت الأم أحد معتقدات أهل الجزيرة وهي مسألة المبروكة لأحد أبنائها، تتذكر الأم أنها المسئولة عن صنع الطعام في هذا البيت وهي من يخبز ويطبخ ويملح .

أرادت أن تأخذ جزءًا من تلك السمكة لتضعه في الملح، فإنه يصلح لسد جوعهم لأيام خوالٍ،كذلك انتبهت أن رصيدهم من القمح قد أوشك على النفاد من البيت، وأنهم في حاجة لكمية من القمح لخبزها ولعمل الفريك اللذيذ:

ارجع يا حسنس وقل لأبيك يأتِ لنا بجزء منها نضعه في الملح حتى يتيبس ونأكل منه ذلك الشتاءالذي أراكم لن تركبو ا البحر فيه مرة أخرى حتى يحل الربيع.

ولا تنسَ أن تخبر أباك أن يشتري لنا أردبًا من القمح،

فتلك فرصة لشراء جميع ما يحتاجه البيت.

أرادت ماريا تأمين الجانب الغذائي، فهو أصل البقاء لكل إنسان، وانشغلت بما يحقق ذلك بإشباع وهو القمح والسمك المملح؛ لذلك طلبت من الكمية "أردبًا" حتى يكون الجزء الأكبر من ثمن السمكة قد ذهب للطعام ظنًّا منها أن ثمن السمكة قد لا يزيد عن ثمن الأردب كثيرًا ،

فإنها تشعر بشيء من المبالغة في الحجم في وصف حسنس.

فيجيبها حسنس في اهتمام : حسنًا.

ذهب حسنس مسرعًا إلى الميناء ليلحق والده قبل أن يبيع السمكة بيعة واحدة، فقد اقترحت أمه اقتراحًا اقتصاديًّا، حيث إنه إذا تم تنفيذ ذلك الاقتراح فسيدخرون في المنزل أسماكًا مملحة وغلالًا وأموالًا .. سار حسنس مهرولًا حتى ينفذ ما أمرته به أمه، وعندما اقترب من الميناء وبوابة الميناء أمامه مفتوحة الأبواب يرى من خلفها البحر.

نظر من بعيد على السمكة الكبيرة فوجدها ووجد أباه بجانبها واقفًا.

ووجد عوكلس ولاداس يجلسان على الأرض بجانب أبيهم، وما أن رآه فاروس عائدًا إلا شعر بشيء من القلق على أبنائه وزوجته في المنزل فسأله: ما الذي أرجعك ؟

obeikandl.com

فأجابه حسنس : أمي تقول لك اترك لنا جزءًا من السمكة نضعه في الملح وندخره لأيام ذلك الشتاء القاسي، وتريد أردباً من القمح للمنزل.

لم يتعجب فاروس من قدرة ماريا الكبيرة على الاقتصاد والادخار فهو يعلم ذلك.

إنهما يتشابهان معًا في طباع كثيرة.

قد يكون ذلك التشابه بسبب الحب الذي بينهما.

فرد قائلًا : أنا فكرت في ذلك وسأقوم بتقطيع السمكة بعد شروق الشمس وأدخر لنا أفضل جزء منها.

فكر حسنس فيما يقوله أبوه ونظر إلى السمكة وهو سعيد فقال لأبيه :

الجزء الذي بعد الذيل وقبل البطن.

سنأخذ تلك الجزلة الكبيرة التي تزيد في وزنها على وزن عجل.

فتعجب فاروس من معرفة حسنس بأفضل أجزاء السمكة، فإن ذلك يعبر عن خبرة في معرفة الأسماك ولكن فاروس متوقع تلك القدرات في أبنائه، فهذا الشبل من ذاك الأسد لذلك قال له:

أحسنت. نعم ذلك الجزء. فارتفعت همة حسنس بعدما رأى أن الجزء الذي اختاره هو الجزء المطلوب فقال: يا أبي لم يبق على شروق الشمس وقت طويل، ابدأ من الآن حتى تستطيع أن تجهز ما ستقوم ببيعه.

يجيبه فاروس بما قد خطط له:

لا يا حسنس لن أقطعها إلا أمام التجار، فإن ذلك يكسبهم ثقة أكبر فيما يشترون، وحتى يتأكدوا أنها النوع المعروف من سمك التونة اللذيذ الطعم .

وكذلك حتى يتوافدوا عليَّ وأنا أقطع، ويزداد الطالبون فيرتفع سعر المعروض .

إن اليوم لن يكون أمامهم إلا تلك السمكة، لم يخرج للصيد إلا مركبي ومركب عبرس ومركب عبرس حدث له الحادث المؤسف المأساوي، فلن يكون أمام التجار إلا هي، فأتمنى أن أحصل فيها على أعلى سعر.

كذلك يسعدني أنها ستكفي سكان الجزيرة بأكملها وما في بيت في الجزيرة إلا وسيأكل منها، فعندما يأخذها التجار سيكفي المعروض جميع سكان الجزيرة، وسيدخرون منها شرائح لكي يضعوا عليها الملح .

إني أتمنى أن أبيعها بأكثر من خمسمائة دينار.

obeikandl.com

أمانٍ وأحلام

ما أجمل الأماني!

ما أجمل الأحلام!

ما أعظم الإنسان الذي يحلم!، إنه إنسان تحققت فيه الإنسانية وشعر بالألم يومًا ما، إنه إنسان يستحق التقدير والاحترام.

أرى الكثير من الناس لا يعرفون ذلك الإحساس، أتفقد أحوال الناس فأجد كائنات فقدت الأحلام والأماني، أتفقد الطيور والنباتات، فأظن فيها بأحلام وأمنيات.

لكن قليلًا من الناس من يعرف الأحلام والأمنيات، الحلم قارورة مغلقة تحمل بداخلها طموحًا وهمة، وعزة وشموخًا وشرفًا وتضحيات .. ما أجمل الأماني ما أجمل الأحلام!

يوم جديد هدأت فيه الرياح قليلًا، وتلك عادتها بعد كل عاصفة، تهدأ الرياح وكأنها لم تكن ذلك الأصم الأبكم الذي عندما يثور لا يفرق بين كبير ولا صغير ولا بين رجل وامرأة ولا بين مريض وسليم.أشرقت الشمس بعدما كاد أهل الجزيرة أن يقولوا إنها لن تشرق مرة أخرى، مما عانوه في تلك العاصفة الأخيرة، جاء التجار الواحد تلو الآخر، يرتدون زي الجزيرة المميز السروال الذي هو يضيق من أعلى القدم،

obeikandl.com

ثم يتسع بشكل كبير ثم يضيق مرة أخرى من ناحية الوسط، ويضعون عليه الحزام الجلدي ويرتدون من أعلى ملابس من الصوف يضعون عليها "السديري" فهذا هو الزي التقليدي لسكان الجزيرة منذ قرون.

وما لبث فاروس أن رآهم يتوافدون إلا وبدأ في تقطيع السمكة، وقد التف حوله أبناؤه الثلاثة يساعدونه يرفعون وينزلون ويدفعون وينظفون السمكة من تلك الدماء التي تسيل بكثافة..والتجار يتعجبون كيف اصطاد فاروس تلك السمكة الكبيرة!

إنها سمكة لها مقاومة عالية لا يستطيع مائة رجل أن يتغلبوا عليها، فالتجار لا يعلمون كيف صاد فاروس تلك السمكة، ويجهلون أيضًا أنها كانت ميتة عندما صادها فاروس، ولا يعلمون أيضًا أن الجوع ينحت الصخر وينسف جبالًا، فسأله أصغر التجار: كيف صِدتها يا فاروس؟!

ولكن فاروس صامت ساكت لا يرد، يقطع بفخر وكبرياء وعزة نفس، فالجوع دفعه لأن يقوم بعمل لم يستطع أحد قبله أن يفعله.وبعد أن انتهى فاروس من تقطيع السمكة لعشرة أجزاء كبيرة كل جزء منها كعجل أبيس، راودته فكرة شيطانية ماكرة.

أن يخرج القطعة المخصصة للبيت بطريقة تزيد من شغف وطلب التجار للشراء بدل من أن تنفرهم حيث إنه سيخرج أفضل قطعة في السمكة.

فقال لابنه حسنس بصوت عالٍ يسمعه الجميع :

ـ يا حسنس أجّر عربة بحمار من أمام الميناء، وأتِ بها إلى هنا؛ لكي نضع الجزء الذى اشتراه عيطا كاهن معبد الحصان البحري لكي يملحه في المعبد ويجعله طعام زوار المعبد. إنه دفع فيه مائة دينار.

حمل عوكلس وفاروس ولاداس، وحسنس وبعض التجار القطعة الكبيرة، ووضعوها على العربة وركب حسنس معها وانطلق بها نحو البيت من الطريق المؤدي إلى المعبد؛ حتى لا يشك التجار في تلك الحيلة، وما لبث فاروس أن قال ذلك إلا وتهافت التجار على الشراء منها لسببين:

لأنه لا يوجد أحد دخل بسمك في الميناء غير فاروس لسوء الأحوال الجوية، ولأن عيطا الكاهن اشترى من السمكة، فبشراء عيطا من تلك السمكة سيتهافت الناس عليها ؛لأن أكلها سيرضي الحصان البحري الساخر وسيرضي كاهن معبده، وستكون سهلة البيع .. إن أكلها سيريحهم لبعض الوقت من الخوف والفزع المسيطر عليهم من الحصان

البحري الساخر؛ لأنه رضي عنها، ثم نادى فاروس بصوت عالٍ جهور : هلموا يا تجار إلى الربح وأكل العيش.

هلموا إلى أكلة بشبعة..

تفقد التجار السمكة، وهم ينظرون ناحية بوابة الميناء في خلسة ومكر وكأنهم يتفقدون هل لن يكون أمام فاروس إلا همّ لشراء السمكة أم سيأتي الكثير من التجار؟

وما إن وجدوا اثنين من التجار قادمين إلا وبادروا فاروس بقولهم:

ابدأ يا فاروس في البيع هيا، فكل منهم يريد أن يفوز بقطعة منها ليبيعها ويربح ويعود إلى بيته بجزء منها يضعه في الملح للشتاء فإنهم لا يعلمون هل سيركب أحد البحر في هذا الشتاءأم لا بعد غرق مركب عبرس.

وجد فاروس الجو مهيئ للبيع فانتهز الفرصة وقال: أريد مائتي دينار فى القطعة، أريد مائتي دينار في القطعة التي تزن وزن عجل صغير.

التجار يلتفون حوله وحول السمكة وهم في تلهف للشراء، لكنهم يريدون أرخص سعر ممكن فيظلوا صامتين.

فكل منهم ينتظر؛ ليسمع العروض المتاحة ولكن لم يبدأ أحد منهم بأى عرض.

obeikandl.com

إلا تاجر طيب اسمه عجميس هادئ وقور والابتسامة لا تفارق وجهه، لا يحب تلك الألاعيب من التجار ولا يفعلها أجاب فاروس قائلًا :

يا فاروس :إن القطعة تساوي مائة دينار إذا قلت خدها بالرضا أخذتها.

يفكر فاروس قليلًا ويحدث نفسه: مائة في القطعة هذا سعر جيد جدًّا، فمائة دينار سعر معقول جدًّا فيرد سريعًا:

خذ قطعة يا عجميس بالرضا لقد بعت لك،

ومن يريد أن يشتري كما اشترى عجميس فقد بعت له.

فما ترك منها التجار جزءًا إلا وأخذوه،

حتى الجزء الذي فيه الرأس فهو جزء قليل اللحم نوعًا ما بسبب وجود الخياشيم والعين والدماغ، ولكن اشتروه أيضًا؛ لأن من يأخذْ ذلك الجزء يفزْ بشريحتي البطارخ، فقد وعدهم فاروس بذلك وهما كفيلتان بتحقيق الربح له.

فرح فاروس ببيعها ونجاح خطته في بيعها بسعر كبير فهو الآن معه تسعمائة دينار.

عاد فاروس هو وابناه عوكلس ولادس إلى البيت يحملون المجاديف الخشبية، هاتين الخشبتين اللتين يستخدمهما في تحريك القارب عندما تسكن الرياح.

obeikandl.com

عـادوا بعـد يـوم شـاق فهـم مـا ذاقـوا طعـم النـوم مـن أيـام وها هي الشمس تقترب من الغروب ..

عـادوا ومعهـم أيضًـا الهلـب الحديـدي وحبلـه الحريـري ذلـك الهلـب الـذي اسـتخدمه فـاروس في صـيد السـمكة ولـم يسـبقه أحد بتلك الطريقة المبتكرة من قبل .

وما لبثوا أن عادوا حتى قال فاروس:

يـا عـوكلس إنـي نسـيت أن أشـتري حبـوب قمـح، ثـم وضـع يـده في الجراب الجلدي وأخرج عشرة دنانير:

اذهـب واشـترِلنـا بعشـرة دنـانير قمحًـا، فبعشـرة دنـانير كميـة كبيـرة مـن القمـح تكفـي لغـذائنا طـوال الشـتاء، أمـا أنـا فسأذهب لعمل شيء هام!

عـاد لادس إلى البيـت مسـرعًا بينمـا سـار فـاروس تحـت الأمطـار الغزيـرة في الطرقـات والأزقـة الضـيقة بـالجزيرة يطـرق بيـوت الفقراء في الجزيرة ويعطي لكل بيت فقير دينارًا.

فقـد كـان إنسـانًا بمعنى الكلمـة ويشـعر بـالفقراء والمحـرومين فقـد عـاش قنوعًـا لا يخشـى ضـيق الحـال طـوال تلـك الثلاثـة عقـود ونصـف التي مـرت في حياتـه، فكيـف وقـد أصـبح يمتلـك أكثر من ثمانمائة دينار؟!

مـر على أكثـر مـن سـبعين بيتًـا في الجزيـرة وأعطى كـل بيـت دينارًا فهو يعرف بيوت الفقراء جميعًا ولم ينسهم.

لـم يفعـل مـا فعلـه فـاروس أحـد مـن قبـل. إنـه رجـل عظـيم ومختلف، ويحبه الفقراء حبًّا شديدًا.

وبعـد أن انتهى مـن تلـك المهمـة التي لا يتـذكرها إلا النـبلاء العظمـاء .. سـار في الطريـق المـؤدي إلى بيتـه سـعيدًا منشـرح الصـدر؛ لأنـه اسـتطاع أن يسـعد الكثيـر مـن النـاس بتلـك الـدنانير في تلـك الشـدة و ذلـك الوقـت العصـيب، فـلا يسـتحق الحيـاة مـن عـاش لنفسـه فقـط كمـا تقـول الحكمـة، ولكـن مـا أروع الإنسـان الـذي يعـيش ويضـحي مـن أجـل غيـره؛ ليشـعر بالسـعادة لا ليطبـق الحكمـة وحسـب، فحسـنات الأبـرار سيئات المقربين.

اقتـرب مـن البيـت، ونظـر ناحيـة البيـت فوجـد قطعـة سـمكة التونـة الكبيـرة التي وضـعتها ماريـا بجانـب البيـت تبـدو مـن بعيد قطعة ضخمة كأنها قطعة لوحش مخيف ..

فإنهـا قطعـة كبيـرة تـزن عجـلًا سـمينًا ،فقـد وضـعتها ماريـا خـارج البيـت - فـلا يسـعها البيـت - حتـى يعـود فـاروس ويجهزهـا للتمليـح فتلـك الطريقـة الوحيـدة لكي تظـل صـالحة كطعام وقد جلس بجانبها حسنس منتظرًا أباه.

obeikandl.com

شمر فاروس عن ساعده وأحضر سكينًا حادة الشفرة .. وبدأ في إخلاء تلك القطعة الكبيرة من الأشواك حتى استخلص قطعتين كبيرتين من اللحم الخالص قد تزن القطعة وزن كبش كبير .. بدأ في تقطيع هاتين القطعتين إلى شرائح كبيرة لكي يضعها في الملح على سطح المنزل حتى يجف منها السائل وتتملح وتصلح لطعام ذلك الشتاء وبعد أن انتهى من تقطيعها إلى شرائح، نظر حوله فوجد بعض الجيران ينظرون إلى هذا الجزء الكبير من السمكة الذي لم يشاهدوا مثله من قبل.

طلب من ابنه لاداس أن ينقل تلك الشرائح الكبيرة إلى سطح المنزل فقد جهزت ماريا السطح للتمليح وقامت بفرش قطعة جلد كبيرة ووضعت عليها الكثير من الملح.

حمل لاداس بعض الشرائح على كتفه ممسكًا بأطرافها ويتدلى باقي أجزائها خلفه حيث استقرت الشرائح على كتف لاداس وهي تتساقط منها الدماء، وأثناء حمل لاداس بعض الشرائح كان قد وصل عوكلس وهو يحمل كمية القمح على عربة بحمار وقد أنجز المهمة.

وما إن دخل ووضع القمح بالبيت، حتى رأى لاداس يحمل الشرائح إلى السطح مستخدمًا السلم الخشبي.

حمل هو الآخر خمس شرائح وصعد بها على السلم الخشبي خلفه حتى نقلا جميع الشرائح إلا عشر شرائح، فقد وقف من بعيد بعض الجيران يراقبون، فقام فاروس بتوزيعها عليهم، أقبل فاروس عليهم وكله سعادة ورضا، كلما تقدم خطوة نحوهم ازداد قلبه سعادة وصفاء.

وهم يشعرون بما في قلبه، فالقلوب لها لغة واتصال خفي يشعر الناس من خلالها بالطيب والشرير، يتقاربون ويتباعدون تبعًا لتلك اللغة الخفية.

سعدوا بذلك الفعل النبيل منه، فإن كل شريحة تكفي بيتًا من بيوت الجزيرة يتكون من خمسة أفراد،

وبعد أن انتهى فاروس وأبناؤه من وضع الشرائح في الملح حل عليهم التعب، وبدأت أعضاؤهم تصرخ مطالبة بقسط من الراحة.

الجميع يخلد إلى النوم بسبب تلك الرحلة الصعبة الشاقة، لكن كل هذه المشقة والصعوبة تهون مع الخير الذي جاءت به،

فقد جاءت بخير كثير، فقد ادخروا قوت الشتاء ومعهم أكثر من ثمانمائة دينار.

الكل نام ماعدا فاروس.

obeikandl.com

نعم لم ينم .

مع كل التعب الذي يحل بجسده وخصوصًا ظهره،

فهو عندما رفع غطاء الخيشوم الكبير شعر بألم شديد في ظهره، وتحمل ذلك الألم حتى أحكم الربط، لماذا لم ينم ؟

استلقى فاروس على ظهره ونظر إلى سقف البيت، وشرد في مشاهدة سمكة التونة المنطبعة في ذهنه، وغاص في أعماق الذكريات، إنه يفكر ويتذكر.

obeikandl.com

obeikandl.com

إنهـا الـذكريات، أظـافر تحفـر في أذهاننـا أحـداًثا، لقـاءات ..احاسـيس .. الـذكريات أظـافر امـرأة تمـر بـبطء على ظهـر حبيبهـا .. تداعبـه، انفعـالات، صـدامات، مخالـب قطـة تـنقض على عصـفور مسـكين تعذبـه، حـالات، متاهـات، دوار أصـاب مسـافرًا فى طريقـه لربـه، هي آخـر قطـرة في قـارورة عـود، دمـوع على خـدود بـل هـى أرواح تلـوح لأهلهـا مـن بعيـد لكنهـا في الحقيقـة محـال أن تعـود، إنـه يفكـر في تلـك الرحلـة العجيبـة ومـا اكتسـبه فيهـا مـن مكاسـب ماديـة ومعنويـة ... الرحلـة التي ذهـب فيهـا بشـبكته الصـغيرة ليبحـث عـن سـمكة صـغيرة شـاردة خرجـت مـن الحفـرة التي تسـكن فيهـا في البحـر ولـم تعبـأ بتيـار ميـاه وأمـواج شـديدة لكـي يأكلهـا هـو وزوجتـه وأبنـاؤه، ويجـد نفسـه يعـود بتلـك السـمكة الكبيـرة التي لـم يصـطدْ مثلهـا أحـد فى الجزيـرة مـن قبـل، تلـك السـمكة الكبيرة التي جـاءت مـن أعـالي المحيطـات واسـتقر بهـا المطـاف إلى جزيـرة الكـور .. فإنـه يعلـم أن سـمك التونـة سـمك مهـاجر يمـر بالمنطقـة في ذلـك الوقـت مـن العـام ولكنـه لا يعلـم سـبب موتها.

هل لها أجل وقد انقضى؟

هل تصارعت مع حوت كبير فانتصر الأقوى؟

هل قتلتها العواصف والأعاصير؟

هل قتلها الحصان البحري الساخر؟

لماذا ماتت؟

لطالما فكر صغير في هذا المبحث المحير!

لماذا الموت؟

وجلس يفكر في ضخامتها وارتفاعها و.. إنه لم يشاهد كائنًا حيًّا في حجمها من قبل، يتذكر عندما رآها وهي ملقاة على ظهرها، يتذكر شكلها المخيف، بطنها منتفخة كالقربة الجلد، فارتفاع بطنها وهي في تلك الحالة أعلى من العشة التي يقف عليها الديك الشركسى أعلى منزله.. ذلك الديك ذو العرف الأحمر المنتفش الذي يستقبله بالصياح عندما يعود من البحر ويتفاءل عندما يسمع صوته وهو خارج من منزله .. وأحيانًا يخرج ولا يسمع صوته فيبحث عنه بنظراته عند أعلى نقطة على السطح فيجده، أما طولها فهي أطول من مائدة المعبد التي يوضع عليها السمك المملح المبارك من الحصان البحري الساخر، إنها مائدة طويلة يصطف عليها سكان الجزيرة فيجد كل منهم مكانًا عليها في العيد المقدس للمعبد، ويتذكر عندما صعد عليها ونظر إلى عينها اللامعة المخيفة، يتذكر شبكه للهلب الحديدي في فمها الكبير،

obeikandl.com

وينتابه شعور بالفخر عندما يتذكر رفعه للغطاء الكبير الذي على الخياشيم بكلتا يديه، ينتابه شعور غريب شعور بالعزة والكبرياء، شعور باكتساب معانٍ نبيلة تفجر فيه أشياء معنوية سامية. الجسارة والإقدام والإبداع .. فالجسارة عندما لم يفكر في النجاة من الغرق فقط وفكر في صيد السمكة الكبيرة والإقدام عندما أقدم على صيدها وشبكها بالهلب في فمها الكبير الذي يسعه هو وأبناءه الثلاثة، والإبداع، عندما ابتكر طريقة لصيدها مستخدمًا الهلب الحديدي المستخدم في ربط واستقرار المركب في مواجهة أي تيار بحري شديد، ثم

يتذكر فاروس أيام صغره وأيام طفولته، يتذكر كيف أنه كان يجلس في الميناء يتأمل في الطبيعة الخلابة وكيف كان يحب جميع المخلوقات التي يراها، كان يحب الأسماك ويحب الطيور .. يحب طائر النورس وهو يحلق فوق سطح المياه .

يحب أن يكون طائرًا أو يكون سمكة أو يكون إنسانًا لا تنفر منه الكائنات كذلك البحَّار العجوز الذي كان يجلس في الميناء ولا يزال يتذكر يوم دخل الميناء أول مرة وهو صغير فرح بما رآه من طيور تسكن الميناء.

لازلت أتذكر يوم نظرت إلى خشبة عائمة في الميناء حائرة بين الأمواج العاتية، وقد رسمت السحب وجهًا يبتسم فوق شاطئ البحر المسجور ويقف الغراب على القارب المحطم بين الصخور،تتحرك القوارب يمينًا ويسارًا على المياه الزرقاءو السرطان يسير مسرعًا على الرمال البيضاء، والكلب يلهث ويبحث عن العصفور، وقد تحرك العصفور بثبات ورشاقة نحو السور ويجلس بحار عجوز قد غارت في وجهه الشقوق يتمنى أن يرى للشمس شروق، لا يتحرك وكأنه يحترم تلك الأمواج العاتية وهي تصطدم بالصخور، ويخاف من تلك الغيوم ومن ذلك البحر الغيور، لذلك يجلس على الصخرة يتأمل في سكون كأنه تعرفه الطيور.

طائر النورس يغوص في البحر ويخرج وقد لقت السمكة مصيرها المحتوم بين منقاره، تقدمت نحو البحر ببطء حتى لا أزعجهم لأطلع على أسراره.. وفجأة .. رسمت السحب وجهًا عبوس، وجرى الكلب بعيدًا وطار العصفور، صاح الغراب بصوت ووقف على السور ونظر إلى البحار العجوز بجفن مكسور، وغاب النورس خلف السور دعوني أشارككم دعونى أندمج معكم فلا أريد أن أزعجكم، فأنا جزء من الطبيعة مثلكم، من كون تلك الصورة عني

obeikandl.com

عنـدكم، تمنيـت يومهـا ألا أكـون إنسـان، أو أكـون البحـار العجوز.

يتـذكر أول يـوم ركـب فيـه البحـر، يتـذكر طلـب والـده منـه أن يـذهب للصـيد مـع البحـار مراسـيس بـدلًا منـه ليجلـب قـوت يـومهم، فقـد كـان والـد فـاروس رقيـق الحـال يعـيش هـو وأسـرته فـي عسـرة وإمـلاق يعمـل بحـارًا مسـاعدًا للـريس مراسـيس أعظـم ريـس مركـب صـيد عرفتـه الجزيـرة، كـان والـده يعمـل بـالأجرة؛ لأنـه لا يمتلـك قاربًـا فكـان يعمـل بيـده، كانـت ووظيفتـه في المركـب أنـه كـان مسـؤلًا عـن حركـة المركـب فـي البحـر فكـان يمسـك بالحبـل الموصـل بالشـراع، حيـث يفتحـه في وجـه الـريح فيصـطدم الهـواء في الشـراع فتسـير المركـب أو يغلقـه حسـب أمـر الـريس مراسـيس، كانـت شـغلته شـاقة ومجهـدة .. ويـا لهـا مـن مأسـاة تعـرض لهـا ذلـك الرجـل المسـكين.. فقـد كـان يعطـي ظهـره للشـراع ويمسـك بالحبـل المتصـل بالشـراع علـى كتفـه ويسـحب، وفـي أثنـاء سـحبه ذلـك الحبـل الـذي خـط في كتفـه خطًّـا عميقًـا انزلقـت إحـدى قدميـه في حيـوان بحـري رخـو علـى سـطح المركـب فسـقط علـى وجهـه وحمـل إلـى البيـت، وجلـس فـاروس تحـت أقـدام والـده يخدمـه ويسـقيه المـاء ويطعمـه .. فطلـب منـه والـده أن

obeikandl.com

يكون رجلًا ويتحمل العمل الشاق في البحر في مركب الريس مراسيس حتى يحتفظ لوالده بوظيفته مع ذلك الريس والبحار الذي يتحاكى أهل الجزيرة عن مصائده والذي يعطي من يعمل معه حقه وزيادة، فلقد كان والده يحتاج لشهرين حتى يستطيع ركوب البحر ويخشى أن يضيع عليه العمل مع ذلك الريس العادل الذي يعطي كل من ركب معه حقه بالتمام والكمال.

يتذكر أول ركوب للبحر بدلًا عن أبيه في المركب الكبير للريس مراسيس، فقد كان يومًا عصيبًا عليه، فقد ترك اللعب مع رفاقه صغيرًا من أجل تلك المهمة الشاقة، ترك لعبة العسكر والحرامية، لعبة الاستغماية، لعبة السبع طوبات، لعبة الثعلب فات، تلك الألعاب المحببة والمفضلة لأطفال الجزيرة.

ترك الذهاب لرحلات صيد الكابوريا مع أصحابه من أبناء الصيادين، فقد كانوا يذهبون عند الشاطئ يشاهدون الكابوريا وهى تجري على الصخور المغطاة بالطحالب الخضراء فيتابعونها ويتسابقون في صيدها، فمن يصطدْ أكبر عدد منها بكلتا بيديه ودون استخدام آلة حادة يكن هو الفائز .. ويتذكر كيف كان يفوز دائمًا، فكان يستطيع

أن يصيدها بمهارة فائقة، فقد كان يتتبعها بنظره وهي تجري، ثم ينقض عليها بيده الصغيرة فيحبسها بين يده وسطح الصخرة، ثم يضغط عليها بقوة فيتملك منها ثم يرفع يده ببطء ويمسك بيده الأخرى القراصتين ذلك العضو المخصص بالمقاتلة لديها فيظفر بها وهي حية ويضعها في الكيس المصنوع من الجلد .

ترك حمل السيخ الحديدي الصغير الذي كان يفصل به الأستريدنا ذلك الحيوان البحري ذا الصدفة الملتصق على الصخر المنتشر حول الجزيرة

يفصلها ويضعها في الكيس الجلدي، ولا يصبر عليها حتى يصل إلى البيت بل يأكلها وهو في الطريق مستمتعًا بطعمها اللذيذ.

ترك اللعب بجوار القلعة القديمة بعد أن تميل الشمس عن تعامدها وتصفر ويظهر لها ظل .. ترك الاستماع لحكايات العجوز سنجر فهو لا زال يتذكر قصة الثعبان وزير المياه!

يتذكر ملامح عم سنجر وهو يحكيها فقد كان مرباعًا نحيل الجسد غائر العينين ذا لحية بيضاء ممسكًا في يده بعصا.. كان يجلس ويجمع أطفال الجزيرة حوله عند القلعة

القديمة، ويحكي قصته الشهيرة الثعبان وزير المياه فقد كان فاروس لا يمل منها، يتذكر كيف كان شديد الإنصات لعم سنجر وهو يقول: إن كل بيت في الجزيرة يسكن أسفل منه زوج من الثعابين أحدهما ذكر والأخرى أنثى، وأنهما أوفياء لبعضهم البعض يعيشان في أمان ولا يتعرضان لأحد من أهل البيت الذي يسكنان فيه، وفي يوم ما تفقد الثعبان زوجته فلم يجدها وبحث عنها في بيت فلم يجدها، فظن أن أصحاب البيت رأوها وقتلوها فاشتد غيظه من أصحاب البيت وكاد الغيظ يقتله فدخل فى زير المياه وبث سمه به، وبعد أن أفرغ السم في زير المياه ليقتل أهل ذلك البيت الذين غدروا بزوجته وليس لهم جزاء عنده إلا الموت.. إذ بأنثاه تعود فقد كانت في جولة خارج المنزل وظلت أيامًا دون أن تعلمه.

حيث كان يطاردها بعض الحيونات أعداء الثعابين، فقد طاردها نمس، ثم خلصت منه بأعجوبه فطاردتها عرسة.

فعندما رآها أحس أن روحه ردت فيه وأصابته حالة فرحة هستيرية وظل يتقلب على الرمال .. ثم تذكر أهل البيت الذين سيموتون نتيجة سوء ظنه بهم فانهار وشعر أنه ظلم عشرة العمر وفرط في العيش والملح مع أصحاب ذلك

المنـزل، عـاد مسـرعًا إلى الزيـر ودخـل فيـه ثـم ضـغط عليـه ضـغطة مـن الـداخل فنسـفه نسـفًا قبـل أن يشـرب منـه أحـد من أهل المنزل، فقد كان يحب فاروس تلك القصة جدًّا ..

نعـم إنـه مـازال يتـذكرها وعلى الـرغم مـن أن عـم سـنجر كـان يحكي حكايـات لأطفـال الجزيـرة لكـن قصـته مـع أمـه هي أشـهر قصـة عالقـة بأذهـان أهـل الجزيـرة مـن عشـرات السـنين، فعنـدما بلـغ عـم سـنجر الخامسـة عشـرة كـان قـد ذهـب مـع والـده لـتعلم فنـون الصـيد وليشـق طريقـه في الحيـاة بالكفـاح مـن أجـل لقمـة العـيش.. وأثنـاء مـا كـان يجهـز أمتعتـه لركـوب البحـر وجـد بمنزلـه مخـدعًا مـن الجلـد قـديمًا محشـوًّا بـريش الدجاج،

فقـال لنفسـه: إن هـذا المخـدع القـديم لا أحـد يسـتخدمه وقـد وضـعته أمـي خلـف صـندوق الملابـس.. فسـآخذه معـي المركـب أنتفـع بـه أنـام وأسـتريح عليـه.. فأخـذه وذهـب مـع والـده وركبـا المركـب وفتحـا الشـراع وسـارت بهـم ومـا أن انتبهـت أمـه أنـه أخـذ المخـدع القـديم معـه إلا وفزعـت وصرخت في البيت! أريد المخدع القديم.

فأخبروها أن سنجر أخذه معه؛ ليضع عليه رأسه أثناء نومه في المركب، فخرجت من البيت وهي تصرخ في الطرقات قائلة: يا ريح يا شرقي.. تعالي غربي.. إلا سنجر وجع قلبي.

ووقفت عند الشاطئ مذعورة صارخة بتلك العبارات، البليغة التي خرجت منها بعفوية، يا ريح يا شرقي .. تعالي غربي .. إلا سنجر وجع قلبي.

وتحقق ما كانت تتمناه وتحولت الرياح الشرقية التي تسمح لهم بركوب البحر إلى رياح غربية عاتية جعلتهم يدخلون سريعًا خوفًا من الغرق واستقبلته من على شاطئ الميناء صارخة بتلك الكلمات التي ظلت تكررها لساعات حتى عاد سنجر، وعندما رآته صرخت فى وجهه: أين المخدع القديم؟

قال لها: فى المركب.

قالت له: أحضره سريعًا.

فذهب للمركب وأحضره وإذ بها تأخذ المخدع وتفرح فرحة شديدة كأنها وجدت ابنًا من أبنائها كانت قد فقدته منذ سنوات .. لماذا كل هذا؟! من أجل مخدع قديم ؟!

نعم من أجل مخدع قديم بداخله ثروة دفينة! فقد كانت تضع فيه كل ما تحتكم عليه من مصاغ، وصارت تلك

الكلمات محفوظة في الجزيرة وكأنها صارت مثلًا.. يا ريح يا شرقي .. تعالي غربي .. إلا سنجر وجع قلبي

فقد كان فاروس كلما سمع عم سنجر يحكي قصة من قصصه الشيقة يتذكر قصته مع أمه ويبتسم، ترك التجول في الميناء عند النجارين صناع المراكب، فقد كان متيمًا بمنظر المراكب وهي تصنع، فكان يجلس في ظل شجرة تين كبيرة في الميناء ويتابع النجارين المهرة وهم يصنعون القارب على شكل هيكل عظمي كبير يشبه هيكلًا عظميًّا لإنسان ميت منذ زمن طويل، ثم بعد ذلك يبدأون في ترصيص الألواح الخشبية على ذلك الهيكل حتى يصبح مركبًا، يستمتع برؤيتهم وهم يدهنون المراكب بالطلاء، فتتحول تلك الأخشاب إلى مركب بديع أنيق ... ويتمنى أن يكون له مركب مثلهم أو حتى قارب صغير، فقد كان أبوه لا يملك قاربًا ويعمل أجيرًا في مركب مراسيس، فما أجمل الأحلام إنها سعادة مجانية.

ترك التجول في طرقات الجزيرة لا ينعي إيّاهم، لا يفكر في طعام أو شراب، فوقت أن ينتهي من اللعب سيذهب إلى البيت يجد والده قد أحضر الطعام وقد طبخته أمه،

ولكن لم يسعد لترك شيء مثلما سعد بترك الذهاب لمعبد الحصان البحري الساخر للتعلم!

فكان لا يتعلم شيئًا من ذلك المعبد، فكل ما يسمعه هناك لا يجد عليه دليلًا ولا يجد فيه إجابات لتساؤلاته ....

من أين جئنا؟

وإلى أين نذهب؟

ومن أوجدنا ؟

كان يتعلم حكايات عن أمجاد الحصان البحري الساخر، لكنه لم يكن مقتنعًا بتلك الحكايات اقتناعًا كاملًا، ولا بما يقال في المعبد من أمور غريبة بغير دليل عقلي عليها يشبع رغباته في الفهم والتفكير.. لم يظفر منه إلا بأن تعلم كيف يفك الخط ويكتب، لكن ماذا يقرأ وماذا يكتب؟

يقرأ خرافات ويكتب أوهامًا.

فقد كان يقال له : إذا سقطت لك سنة من أسنانك فاذهب بها إلى مكان مشمس .. ثم اطرح السنة فيه بعيدًا قائلًا :

يا شمس يا شموسة.. خدي سنة الحمار.. وهاتي سنة العروسة. كان يفعل ذلك مثل باقي الأطفال لكنه كان لديه شعور مختلف فجميع الأطفال كانوا يفعلون ذلك وكلهم

obeikandl.com

سعادة إلا هو فكان تحيط به الشكوك، يا للحماقة .. إنسان يسب نفسه بنفسه ويشعر بالسعادة؟

كذلك من تلك الأمور ما أخبره به معلمه في المعبد أن تربية الصبار في المنزل تجلب الشر!.. فما ذنب الصبار؟!

إنه نبات كباقي النباتات ولكن كل ذنبه أن الحصان البحري الساخر لا يحبه!

فقد فاروس الكثير من طفولته البريئة، ولم يعشها كما عاشها أقرانه الصغار، إنه ضحى صغيرًا بأشياء.. هموم تحمل من أجل أشياء، فكن مستعدًا للتضحية و الفداء، أشياء تترك من أجل أشياء... فتمسك بالوفاء وتعبث أشياء بأشياء، فكن كصخرة في ماء، تخسر أشياء وتكسب أشياء ، فتخلق بأخلاق النبلاء.. تحب أشياء وتكره أشياء، فكن ذا مروءة وقت النداء وتنسى أشياء وتتذكر أشياء قلوب كريشة في الهواء، وتسقط أشياء وتظل أشياء فكن كالسندال وقت البلاء وتضيع أشياء من أجل أشياء، فتلك حياة العظماء.

obeikandl.com

obeikandl.com

حمل فاروس الهمَّ صغيرًا، حمل آمال أسرة فقيرة للحصول على قوت يومها .. فقد كانت لا تتمنى أكثر من ذلك، كان طفلًا، ولكنه غير كل الأطفال، طفلًا يحمل هموم أسرة بأكملها مكونة من أب وأم وأخت صغيرة، يتذكر الليلة التي لم ينمها رغم أنفه من التفكير في المهمة التي كلفه بها والده وأنها ستبدأ بعد ساعات.

يتذكر لحظة وضع قدمه في مركب الريس مراسيس وإبلاغه بما أخبره به والده وترحيبه، فقد كان والده من أخلص الناس لعمله و للريس مراسيس، يتذكر كيف كان يسحب الحبل المربوط لسحب الشراع، وكيف كان ينصت لكلام الريس مراسيس.. فعندما يقول له: اسحب يسحب وعندما يقول له: أوقف السحب ينتهي، ويظل منتبهًا للريس مراسيس، فقد يطلب منه السحب في أي وقت يتذكر كيف كان يراقب الريس مراسيس؛ ليتعلم منه فنون الصيد ومهاراته ... كيف يرمي الشبكة في البحر؟

أين يرميها؟ في أماكن الصخور أم في الأماكن التي يستقر في قاعها رمال بيضاء؟

كيف يدير دفة المركب التي توجه المركب في السير يمينًا ويسارًا ؟

ويتذكر الموقف العجيب من الريس مراسيس الذي جعله مثله الأعلى في الصيد وأعطاه سر النجاح في مهنة الصيد!!

ففي أول رحلة خرج فيها فاروس مع الريس مراسيس ظلوا أيامًا في البحر لم يصطادوا خلالها شيئًا وتبقى لهم ليلة واحدة في البحر حتى يعودوا للجزيرة.

لقد كان الحزن ينتابه؛ لأن الناس قد تظن فيه أنه شؤم و ذو قدم شر عليهم.

أو أنه ذو وجه يجلب الفقر، ولا يطلع نجمه إلا على نحس، وفي أثناء لحظة إحباط ويأس تنتابه.

ينادي الريس مراسيس على جميع المراكبية معه ويجمعهم على ظهر المركب ..فمن كان يغسل الأواني التي يأكلون فيها فقد تركها وجاء، ومن كان يغزل ويرقع القطع المتقطعة من الشبكة بسبب اشتباكها بالصخور ترك الشبكة وجاء، ومن كان يطلي قطع الإسفنج المربعة بالطلاء ليعلقها بدلًا من

القطع التي سقطت في المياه جاء مسرعًا، لا أحد يكسر كلمة للريس مراسيس، ثم قال لهم:

يا أبنائي لكي تكونوا صيادين مهرة لابد من أن تعلموا شيئًا هامًّا.

لا بد أن تعلموا أن الصيد ليس مهارة وخبرة فقط إنما مهارة وخبرة ونية سليمة صافية لا يعكرها أي شيء فلو توفرت المهارة والخبرة ، ودخل الطمع والحسد والحقد والكذب بين أفراد المركب فلن يصطادوا شيئًا، ولا أحد على ظهر جزيرتنا أكثر مني خبرة ومهارة فإني جاوزت الثمانين ولي في البحر أكثر من خمسة وستين عامًا.

فكان منكم من كاد لأحد مكيدة أو ظلم أحدًا من رفقائه في تلك الرحلة والنفوس ليست صافية، وقد كان كل ما ظنه الريس مراسيس صحيحًا، فقد كان فاروس يشعر بالظلم وبأنه سيهضم حقه بسبب الكلام الذي قيل له من زملائه في تلك الرحلة وأحزنه، فقال: إذا أردتم الصيد وأن تعودوا إلى الجزيرة بأسماك فتكلموا .

فقال فاروس متيقنًا من عدل مراسيس: إني أشعر أني ظُلمت منكم .

قال الريس مراسيس:

obeikandl.com

لماذا ؟

قال له فاروس:

لأن البحَّار حباشا أحبطني.

حيث قال لي : إن الريس مراسيس سيعطيك نصف أجرة لأنك صغير.

وأنا أفعل كل ما كان يفعله أبي، أشد الحبل المعلق بالصاري على ظهري وإذا وقفنا وربطنا الشراع أمسك الإسفنجة وأمسح جميع سطح المركب من المياه المتناثرة بسبب الأمواج على السطح ولم أقصر.

قال له : أحسنت ولم تقصر.

إن من قال لك ذلك أراد أن يحزنك ويحبطك، ولكني كنت سأعطيك أجرة كاملة، والآن أعطيك أجرة كاملة وأزيدك عليها سمكة تونة إن صدنا الليلة.

هل رضيت يا فاروس؟

قال فاروس: رضيت أيها الريس العادل.

ثم قال الريس مراسيس: يا حباشا خذ بخاطر فاروس الصغير وكفى منك تلك المعاكسات.

فابتسم حباشا وقال: كنت أداعبه.

ووضع يده على رأس فاروس.

obeikandl.com

ثم نادى الريس مراسيس: فلنرمِ الشبكة وقد صفت ضمائرنا .. رموها وبعد ساعات لم يستطيعوا أن يسحبوها من كثرة الأسماك المتعلقة بها.

سمك تونة وبربون وبورى ودنيس ومرمار.

ورجع إلى أبيه في المنزل سعيدًا. معه الأجرة كاملة ومعه سمكة تونة طولها ذراع، طبختها أمه صيادية شوربة السمك المقطع جزلًا، موضوعًا عليها التوابل والبقدونس .. إنها الأكلة المحببة لأبيه وله أيضًا، يتذكر كيف كان يدخر الدراهم القليلة ، الرحلة تلو الأخرى حتى جمع ما يمكنه أن يدفعه ثمن قارب بعد سنوات وسنوات من الكد والتعب والادخار، استطاع أن يذهب إلى النجارين، ويطلب منهم صنع قارب صغير له، فقد كان يذهب كل يوم للنجار؛ ليشاهد حلمه وهو يتحقق يومًا بعد يوم ..فقد عايشه منذ أن كان خشبًا ،ثم أصبح هيكلًا ثم أصبح قاربًا، ويتذكر يوم استلامه للقارب ودفعه لباقي ثمنه ، فقد كان من أسعد أيام حياته حيث أصبح لديه قارب لا يشاركه فيه أحد ولا يعمل عند أحد أجيرًا. كل هذه الذكريات مرت سريعًا..لحظات من العمر لا تُنسى، ثم ظل يتذكر سمكة التونة الكبيرة التى اصطادها.

إنه لم يخف منها على الرغم من أن شكلها وهى ملقاة على ظهرها يرعب أي إنسان؛ لضخامة حجمها وكبر فمها وحدة أسنانها، يتذكر وهو يقترب منها بالقارب ببطء شديد ويضع قدميه على جزيرة الكور ويسير ببطء يضع الخطوات المليئة بالترقب على سطح الجزيرة الصخري المغطى بالطحالب الخضراء، فلم يكن متيقن من أن تلك السمكة الضخمة ميتة كما تبدو فقد تتحرك فى أى لحظة وهو قريب منها ليشبكها فتقتله، ولم يخف من غضب الحصان البحري الساخر عندما فكر في صيدها وسحبها ولا هو يسحبها معه إلى الشاطئ مع أن صوته كان مسموعًا في السحاب كما يقولون!

تعلم فاروس أن الجوع أقوى من الخوف، وأن الإنسان إذا جاع يفعل أى شيء، فقد يصل به الأمر لأن يصارع الحصان البحري الساخر نفسه.

كل هذه الذكريات مرت سريعًا كأنها شريط من الأحداث المتتابعة في ذهنه.

استيقظت ماريا ولم تعلم سبب استيقاظها، فشيء ما جعلها تنتبه وتفتح عينيها في وقت لم تتعود الاستيقاظ فيه، لم تكن تعلم أن الذي أيقظها هو ارتباطها القوي

obeikandl.com

بزوجها فاروس. إنها تشعر بفاروس وآلامه ومعاناته فهي تشاركه كل شيء.

ما أحب رجل امرأة مثلما أحبها فاروس؛ لأنها شريكته في الحياة كذلك تبادله هي الأخرى نفس الشعور؛ لذلك شعر قلبها به و أنه لازال مستيقظًا، فاقتربت منه وفي عينيها حنان ومودة وسألته:

أمازلت مستيقظًا يا فاروس؟

أجابها فاروس بنعم وهو يعلم أنها أكثر أهل الأرض احساسًا به، فكان متوقعًا استيقاظها، فلم تكن أول ليلة تستيقظ فيها ماريا من أجله، فقد ظل أوقاتًا كثيرة يفكر، وكانت تشعر به وتستيقظ، فهي لن تستطيع أن تنام إلا بعد أن تطمئن عليه وتعرف سبب استيقاظه في تلك الساعة من الليل، فتسأله قائلة: لماذا لم تنم؟

فاروس كان يريد أن يعيش مع بعض الذكريات الأخرى، لكن إشفاقه على ماريا جعله يجيبها بقوله: سأنام .

ولكن الإلحاح من طبيعة المرأة، فطلبت منه أن ينام في الحال حتى لا يرهق نفسه أكثر.

حسنًا لا ترهق نفسك ونم يا حبيبى سأطمئن على الأولاد وسأعود لأنام.

obeikandl.com

وبعد أن أغمض فاروس أجفانه وبدأ النوم يتسلل إليه إذ بماريا تأتي إليه قادمة من غرفة الأطفال، ينتابها قلق وفي عينيها شيء من الفزع، فنادت من على باب الغرفة التي يجلس بها فاروس مستلقيًا على ظهره:

يا فاروس يا فاروس.

ابنك عوس يبكي ورقبته منتفخة متورمة أخاف أن يكون" داء الغدة"

كذلك أجده يتساقط من فمه اللعاب بشدة "يريل"

انزعج فاروس كثيرًا بعدما كان يعيش في حالة لا يريد الخروج منها رغم التعب الذي يسيطرعليه، أشفق فاروس على ابنه عوس فهو معوق ذهنيًا.

إن نقطة ضعف فاروس في الحياة أبناؤه، فلا يوجد أعز عليه منهم، يفديهم بماله ودمه وروحه.

وعندما وجدته ماريا فى حيرة قالت:

اذهب به صباحًا إلى الكاهن عيطا وانظر ماذا يقول؟

إن لدينا مالًا كثيرًا ونستطيع أن نعالج ولدنا أفضل علاج وهو علاج المعبد المقدس.

استفسر فاروس عما قالت منزعجًا : عيطا ؟

ماريا : نعم هل عندك علم بعلاج لهذا الداء إلا ما يقوله عيطا ؟

إن فاروس بداخله صراع بين إحساسه بما تولد بداخله من جسارة وشجاعة وإصرار وحب للابتكار بعدما ابتكر طريقة جديدة للصيد وجاءت بفائدة كبيرة.

وبين الخوف على ابنه من هذا المرض، فاروس يجيب ماريا - مضطرًا - بنعم سأفعل.

ذهب فاروس للكاهن عيطا في معبد الحصان البحري صباحًا في نهار مظلم، وقد حجبت الغيوم الشمس.

دق فاروس الباب من القبضة الحديدية.

الحارس العملاق ذو السيف الحديدي الكبير يقف متقلدًا سيفه البراق خلف الباب فيستجيب للطرق قائلاً: من بالباب؟

أجابه فاروس و بداخله هيبة من الموقف. إنها أول مرة في حياته يجرب فيها ذلك العلاج المقدس.

أنا الصياد فاروس.

فتح الحارس الباب في ترقب خبيث لضحية جديدة .

. تفضل.

دخل فاروس، ثم قفل الحارس الباب الخشبي الكبير العتيق وهو يأط بصوت يشبه نعيق الحمار، سار فاروس مهرولًا يمر من بين الحراس الذين يقفون على الصفين حتى وصل إلى البهو الذي يجد فيه الكاهن عيطا فقد وجده واقفًا في انتظاره، حيث كان يتابعه من بعيد وهو من أعطى إذن دخوله للحراس.

إنه رجل قصير مستدير الوجه ذو بطن مكتظة باللحم ويمسك في يده عصا من الذهب الخالص ومن أعلى قبضتها تمثال صغير للحصان البحري ويرتدي ملابس مصنوعة من جلد الفهد، ويضع على رأسه تاجًا من الذهب الخالص مرصعًا بالجواهر.

يبدأ عيطا بالحديث بابتسامة مصطنعة قائلًا: أهلًا وسهلًا.

اطمأن فاروس بسبب تلك الابتسامة وذلك الترحيب، هدأ توتره قليلًا، فطلب مساعدة المعبد سريعًا دون مقدمات.

نريد مساعدتك أيها الكاهن عيطا.

الكاهن عيطا ينظر نظرة خبيثة ثم يقول: ولا تريد أن تفعل شيئًا آخر؟

obeikandl.com

يفهم فاروس أنه يقصد المال ، فالمال في هذا المعبد مقصود الكل، فيرد سريعًا: نعم نعم هذه عشرون دينارًا للمعبد.

عيطا: أما تخاف غضب الحصان البحري الساخر؟

إنه لا يقبل أقل من مائة دينار للعلاج المقدس الذي يمجد من يتعالج به ويخلده في السعادة.

يسكت فاروس ويفكر قليلًا، ويحدث نفسه : ما هذا إنها ثمن قطعة من السمكة؟

هل هذا ثمن كذبتي على التجار، وحيلة أن القطعة التي ادخرتها للبيت هي من أجل معبد عيطا؟

هل هي مصادفة أم أنها ثمن الكذبة؟

عاد فاروس لحوار للكاهن، فكل تلك التساؤلات مرت على ذهنه في لحظات.. وهو بداخله ارتباك ذهني

فيجيب:

نعم نعم وهذا أقل شيء المائة دينار.

هل أصف لك أعراض المرض؟

الكاهن عيطا: تفضل.

فاروس يصف المرض وهو في حالة حزن قائلًا:

إن ابني يبكي من ليلة أمس وغدته منتفخة وله أكثر من ستة أشهر يسيل اللعاب منه صباحًا ومساءً " يريل " ماذا أفعل؟ نظر عيطا نظرة ثقة ودهاء وكأنه ميتادور أسبانى يحمل الرمح وقطعة الحرير الحمراء وينظر إلى الثور الضحية الذي سيرشقه في ظهره بالرمح.

فرد قائلًا: الحل معروف في عرف الحصان البحري الساخر.

ما هو؟ أخبرني به.

عيطا يجيبه وهو واقف كله ثقة ويمسك في يده العصا الذهبية التي يتكئ عليها:

لا بد من عبد أسود حبشي مدمن للخمر يقبله على خده . هكذا سيشفى من " الريالة" ولن يسيل لعابه بكثافة بعد اليوم، هكذا قال الحصان البحري الساخر.

لم يستطع فاروس أن يخفي اندهاشه، فقد ظهرت علمات الاندهاش على وجهه!

رجل حبشي؟!

مدمن للخمر؟!

يقبله؟!

على خده؟!

obeikandl.com

كل هذه تساؤلات بداخل فاروس وتعجبات ولكنه لا يبوح بها، فقد درات في ذهنه في لحظات، ثم قال وهو يظهر الاهتمام، وكأن هذا الاندهاش هو اندهاش إعجاب بالعلاج المقدس العجيب: بدأ عيطا بالداء الأقل خطورة على عوس حتى يرجئ داء الغدة لحين خروج الدنانير المختصة بتنفيذ العلاج وعمل اللازم مع المريض .

سأله فاروس: وماذا عن الرقبة المنتفخة؟ إنها الأهم إنها تؤلمه من ليلة أمس.

أجابه عيطا وهو منتظر الدنانير الجديدة التي سيدفعها مرة أخرى لتطبيق العلاج وقد ارتفعت نبرة صوته وأصبح فيه حدة، في عرف الحصان البحري أن علاج الرقبة المنتفخة لابد من أن يُعلَّم عليها بخطين متعامدين على بعضهما البعض " بهباب " مأخوذ من حلة موروثة مصنوعة من النحاس وهي موجودة في المعبد، فيرسم صليب عليها .

حسنًا لعله يأتي بالخير.

أتركك الآن .

سأله عيطا: متى سيتم التنفيذ ؟ فإن الحلة الموروثة المباركة متاحة لك حتى غروب الشمس، وكذلك العبد الحبشي.

obeikandl.com

أجابه فاروس :

سأذهب للبيت لأحضر الأموال من أجل التنفيذ ثم أعود ..

سار فاروس حتى وصل لباب المعبد وفتح له الحارس؛ ليخرج ثم سار في طرقات الجزيرة الضيقة بين البيوت الصغيرة المتراصة التي لا يرتفع البيت منها على طابق واحد صار يفكر في كلام الكاهن عيطا ويتعجب ، ما علاقة العبد الأسود بسيلان اللعاب ولماذا حبشي ؟

وهل في إدمانه للخمر تأثير أكبر ممن لازال يسكره كأس صغير؟

وعندما وصل للبيت سألته ماريا متلهفة : ماذا فعلت؟

أجابها فاروس وهو يشعر بخيبة أمل وشيء من السفاهة :

وصف عيطا الوصفة المقدسة لعلاج انتفاخ الرقبة ، لابد من وضع هباب حلة بشكل خطين متعامدين على الرقبة ولكن للحلة شروط..

. أن تكون إرثًا أي موروثة عن الآباء .

. أن تكون من النحاس.

. وقال إنها ملك للمعبد .

obeikandl.com

وأما موضوع سيلان اللعاب من فم عوس فقد قال لى:لابد أن يقبّله عبد حبشي مدمن خمر على خدِّه ليشفى من سيلان اللعاب.

ماريا وكلها رضى:

حسنًا طالما الحلة موجودة في المعبد فلا بأس اذهب بعوس لها.. وجدنا حل الغدة.

أما سيلان اللعاب فهل تعرف عبدًا حبشيًّا بتلك المواصفات ؟ أجابها فاروس في حدة: وهل لو وجدته سيشفى ابني؟

نعم نعم إن وصفات عيطا لا تخيب كما قالت لي أمي.

أحس فاروس أنه في حاجة لمناقشة الأمر بالعقل. فقال لها :

. إنها قبلة سكير ، ما علاقتها بالداء ؟

فردت قائلة : هل لديك علم بعلاج ؟

لا .

إذًا فافعل، اذهب بعوس للمعبد وضع من هباب الحلة على رقبته كما قال لك فهي الحلة المطلوبة !!

وانظر عنده على عبد حبشي مدمن للخمر ليقبّل ابننا !

لم تكن فكرة العلاج المقدس فكرة فاروس إنما كانت فكرة ماريا .

obeikandl.com

نظر فاروس لماريا وهو مستغرب لإصرارها على ذلك العلاج غير المقنع لعقله، فأراد أن يكتفي بالوصفة ولا ينفذها فيكفيه ضياع مائة دينار هباءً ، لكن ماريا تشعر بفخر وعزة وإيمان؛ لأن ابنها سيُعالج بذلك العلاج المقدس .. شتان بين ما يدور بخلد ماريا وبخلد فاروس. فيسألها فاروس سؤالاً تعجيزيًّا عن العبد الحبشي على الرغم من مشاهدته لعويس العبد الحبشي في المعبد وهو يعلم إدمانه للخمر : من أين لي بعبد حبشي بتلك المواصفات؟

ولكن سؤاله لم يكن بالقوي ولا بالتعجيزي، فأجابته ماريا بكل سهولة:

يوجد الكثير بهذا الوصف أشاهدهم في السوق يشربون الخمر يتسكعون في غفلة من سادتهم ساعة القيلولة

ولكن ما يوجد أفضل من عويس العبد الحبشي الذي يخدم عيطا الكاهن؟

إني أرآه دائمًا يشرب الخمر.

إنه جاء من الحبشة على مركب وهو صغير فقد أعطاه تاجر إلى عيطا ؛ لأنه نجا بعد أن كاد يغرق ويقول إنه سمع صوت الحصان البحري الساخر في السحاب وراء بريق أسنانه.. وجاء ليقدم ذلك العبد لمعبد عيطا ومن يومها وهو

obeikandl.com

معــه، وهــو لا يغــادر الحانــات عنــدما يتــرك المعبــد لشــراء أغراض الكاهن عيطا.

اذهب له بعوس واطلب منه يقبِّله وأعطه بعض المال.

يقـاطع كلامهـا فـاروس: ولكـن أيـن أذهـب لـه، في الحانـة أم في المعبـد ؟ فـي المعبـد طبعـاً ألا تخـاف مـن غضـب الحصـان البحـري السـاخر و الكـاهن عيطـا إذا علمـوا أنـك ذهبـت لـذلك العبد من خلفهم ولم تأتِ من باب المعبد خاضعًا ؟

تلـك مصـيبة كبرى قـد يفتـك بـك الحصـان البحـري السـاخر إذا وجدك تركب البحر مرة أخرى.

اذهب الآن حتى ترجع قبل غروب الشمس .

فـالجزيرة تسـكنها عروسـة البحـر وبنتاهـا النـداها وأم شـوكة، والليل ملك لهم.

نظـرًا لقلـة علـم فـاروس وخوفـه على ابنـه المـريض لـم يكـن أمامه إلا قول : حسنًا.

وقبـول ذلـك العـلاج ، فجهـل فـاروس جعلـه يخضـع لمـا لا يقبله عقله ظنًّا منه أنه قد يكون شيئًا معقولًا .

ذهـب فـاروس ومعـه المسـكين عـوس مسـرعًا؛ لكـى يلحـق العبد الحبشي في المعبد قبل أن يذهب للحانة.

obeikandl.com

سار فاروس يهرول وهو يجر ابنه عوس .. وعوس يجري خلفه ممسكًا بيده واللعاب يسيل من فمه، يلوي عنقه بسبب التورمات التي في الرقبة حتى وصلا لباب المعبد.

يدق فاروس الباب من المقبضة الحديدية مرة أخرى.

العبد الحبشي يجيب: من بالباب؟،

فاروس محدثًا نفسه : اها إنه لم يذهب بعد للحانة ، ولكن غريبة كل مرة يفتح لي الحارس إلا تلك المرة سيفتح لي عويس. هذا من حسن طالعي يمر كل ذلك في لحظات

فيرد: أنا فاروس .

عويس : اها أهلاً فاروس.

إن الكاهن عيطا يأكل الآن انتظر قليلًا.

حسنًا.

فاروس محدثًا نفسه : ما هذا الكاهن البخيل الذى لا يشارك أحدًا معه في طعامه؟

ثم يلتفت للعبد الحبشي عويس ويسأله: أين الحارس العملاق ؟

العبد يجيبه في فرحة:

إنه مشغول مع باقي الحراس والخدم بالتجهيز للاحتفلات السنوية للمعبد .

obeikandl.com

اها .

فـــاروس يحـــدث نفســـه : فرصـــة لأتأكـــد مـــن المواصـــفات المطلوبة في العبد .

كيف حالك عويس ؟

بخير.

أراك فى حانة حنون كثيرًا .

أجابه عويس بصوت خافت:

نعم أنا زبون دائم عنده.

سمعت أن أصلك من الحبشة ؟

نعم .

يحدث فاروس نفسه : المواصفات منطبقة تمامًا ،

تبقى القبلـة التي تُوضـع مـن تلـك الشـفاه الغليظـة على ذلـك الخدِّ الصغير.

ينـادى عـويس بصـوت عـال وكـأن هـذا مـن أصـول وطقـوس المعبد: إن الكاهن عيطا انتهى من طعامه.

عيطا مناديًا : تعالَ يا فاروس.

نعم نعم. أنا قادم أيها الكاهن الحكيم.

عيطا يعزز العلاج المقدس ويسأل فاروس: ماذا تريد؟

obeikandi.com

أريد لحسة من الحلة المقدسة من الهباب المقدس ، تلك الحلة التي تُوضع فيها قطع الأسماك ،ويأكل من تلك القطع اللذيذة ومن حسائها أهل الجزيرة في عيد الحصان البحري الساخر إنها الحلة التي يطبخ بها صيادية الأسماك المقدسة. عيطا في صوت مرتفع وحدة وعدم مبالاة بما يقول فاروس وكأن وقته ثمين ولا يرغب أن يضيع منه شيء في سماع فاروس:

نعم نعم تعالَ معي أنت وابنك، وجهز الحلوان.

فاروس يريد أن يكتفي بدفع المائة الدينار الأولى ويجرب المساومة مع عيطا قائلًا: لقد دفعت مائة دينار في الوصفتين.

عيطا كله انتظار للدنانير فيرد بنبرة صوت ممتلئة بالغضب: نعم . ونريد مائة أخرى للتنفيذ.

إن ابنك لن يعالج فحسب، ولكنه سيصبح مقربًا من الحصان البحري الساخر أيضًا.

فاروس يصلح ما أخطأه من تصرف أهوج قد ينهي حياته على يد سياف المعبد:

نعم وهذا الشرف يستحق أكثر من ذلك .

obeikandl.com

انشغل فاروس بالنظر لعيطا وهو يحك أصبعه في قعر الحلة ويحك الفحم المتراكم على القعر ويضعه على رقبة عوس خطين متعامدين كالصليب.

فاروس يصلح ما أفسده بإغضابه لعيطا بقوله:

أريد العبد الحبشي عويس أن يقبِّل ابنى حسب الوصفة التي لا تخيب من معبدكم الموقر.

كل تلك التصرفات والأقوال لا تفيد مع عيطا لا ينفع معه إلا الدنانير وعندما لم يجدها قال له:

اها نعم نعم . قدم الحلوان قدم الحلوان .

ظن فاروس أن بدفعه عشرة دنانير قد يسكت عيطا.فقال:

هذه عشرة دنانير لتلك القبلة من هذا العبد المقرب من المعبد .

اشتد غضب عيطا: أما تستحي ؟! يا للهول ما يقبل الحصان أقل من مائة دينار إنه الحصان البحري الساخر..

إنه الحصان البحري الساخر ذو الضحكات الجبارة وهذا خادم عنده.

فاروس مضطر للدفع : بلى هذه مائة دينار.

إن ابني عندي أغلى من نور عيني وأفديه بروحي وليس بالمال فقط، أنت من المقربين للحصان البحري الساخر يا فاروس.

حسنًا لعله خير.

عيطا يقف مغمضًا عينيه ويقول :

قرب إلي بعوس من أجل أن أقرأ عليه وصية الحصان للمرضى .

أجل أجل ها هو.

فتح عيطا يديه وهو مغمض العينين ووقف عوس بين يديه، ثم تمتم عيطا :

حبراتش مستراتش كشم تاتان.

فاروس في خفة ظل :

متى القُبلة ؟

انتظر.

حسنًا .

وعويس مترقب أيضًا ؛ليقبّل قبلة تشعره بأن له قيمة في الحياة وأنه موصوف في وصفة الحصان.. ولكى ينال دينارًا من عيطا يذهب به إلى الحانة يشرب الخمر حتى يثمل، ثم عقب عيطا بطلاسم أيضًا غير مفهومة: حربنم تن بم

obeikandi.com

الآن قبِّل يا عويـــس .

العبد عويس متلهفًا : حاضر.

ولكـن لهفتـه ليسـت مـن أجـل أن يعـالج الطفـل ،ولكـن مـن أجل الدينار.

فـاروس يـدقق في كـل مـا يحـدث حولـه وكأنـه يختبـر تلـك العلاجات اختبارًا دقيقًا.

. اها لعله خير ومتى الشفاء؟

يجيبه عيطا بكل فخر وقد رفع رأسه ونظر ناحية البحر:

أبشـر إن لـم يكـن اليـوم فغـدًا .إن لـم يكـن غـدًا فهـو قـادم قادم .. أخذ فاروس ابنه المسكين عوس من يده وقال لهم:

أسألكم الرحيل.

تفضل.

أشكرك.

سـار فـاروس في طرقـات الجزيـرة الضـيقة تحـت الأمطـار عائـدًا إلى البيـت هـو وابنـه المعـوق المسـكين عـوس، فبـرغم التعـب الشـديد الـذي يشـعر بـه في جسـده وألـم الظهـر المتتـابع إلا أنه لا يفكر إلا في ابنه المريض.

وأثناء سيره يحدث نفسه :

ماذا لو فكرت في طريقة تساعد في علاج ابني عوس؟

obeikandl.com

أعتقد أن زيت الزيتون يفيد وسيسكن الألم لذلك الطفل المسكين، عندما نعود إلى البيت سأدهن له به لعله يساعد في علاجه مع تلك القبلة الغريبة.

ها هو البيت.

فاروس : افتحي يا ماريا .

تجيبه: حاضر.

ماذا فعلتم ؟ هل وضعت الخطين اها نعم نعم أراهما على رقبته .

هل قبَّله العبد ؟

أجابها فاروس : نعم.

أين زيت الزيتون؟

ماريا تسأله باستغراب ؟

لماذا تسأل عنه ؟

لأسقي به عوس ولأدهن به رقبته .

ماريا ترد غاضبة :

تكفى وصفة المعبد.

أجابها فاروس إجابة تمتص غضبها: إن لم يكن زيت الزيتون فيه العلاج فسيريحه قليلًا من الوجع والألم.

obeikandl.com

ماريا لم تقتنع بتلك الإجابة من فاروس فقالت: حسنًا افعل ما تريد ولو أني أرى أن هذا ضعف إيمان منك .

وضع فاروس زيت الزيتون في إناء وسقى عوس مقدارًا ضئيلاً منه، ثم وضع يده في الإناء حتى تشربت بالزيت، ثم مسح بها رقبة ابنه ، ثم ربط عليها قطعة من الصوف فما لبث أن انتهى من ذلك حتى وجد عوس ابنه قد غرق في النوم.

فابتسم فاروس ابتسامة تملؤها الشفقة والرحمة بهذا الابن المعاق ذهنيًا المريض.

نام فاروس ونامت ماريا ونام الأبناء .

وفي الصباح الباكر بعد أن أشرقت الشمس، ذهبت ماريا لتطمئن على عوس فوجدته نائمًا ، ووجدت الورم الذي كان في رقبته قد قل وفش .. وجف لعابه وامتنع عن النزول على رقبته، ففرحت فرحًا شديدًا وذهبت إلى فاروس في حجرته:

يا فاروس إن رقبة عوس قد شفيت، وجف سيلان اللعاب بفعل قبلة العبد الحبشي والحلة المقدسة.

فاروس مفكرًا:

القبلة ؟

الحلة المقدسة ؟

ماريا وقفت وقد ملأتها السعادة:

ـ نعم دخلت الآن على عوس وجدت رقبته في حالة أفضل من أمس و زال الورم ووجدت لعابه امتنع عن السيلان.

فاروس متسائلًا:

أهي رشفة الزيت؟ أم هي القبلة من العبد الحبشي ؟ أم زيت الزيتون والتدفئة بالصوف للرقبة المريضة؟ أم الهباب؟

سعدت ماريا بشفاء ابنها عوس وهي متيقنة وكلها قناعة أن سبب شفائه قبلة العبد الحبشي السكير مدمن الخمر والخطان المتعامدان من هباب الحلة الموروثة المقدسة.

كذلك سعد فاروس بذلك الشفاء وهو يعتقد بنسبة كبيرة أن سبب شفاء عوس ابنه هو زيت الزيتون وقطعة الصوف.

ماريا قامت من مقعدها وكأنها تذكرت شيئًا هامًا.

نظر إليها فاروس حيث إنه لاحظ ذلك فقالت له :

سأقوم لأجهز الملابس التي سنرتديها في العيد غدًا .

فاروس:

obeikandl.com

أي عيــد ؟

ماريا تذكره:

عيـد الحصـان البحـري السـاخر. إنـه العيـد السـنوي الـذي يبدأ عند اكتمال القمر في شهر كياك ويستمر ثلاثة أيام

تـذكر فـاروس الميعـاد وكـأن عقلـه البـاطن كـان يتناسـاه، اهـا غدًا يكتمل قمر كياك نعم صحيح.

سأخلد أنا إلى النوم .. أشعر أنني سيغمى عليّ من التعب .

نام فاروس نومًا عميقًا وما استيقظ إلا في الظهيرة .

ماريا توقظه: صباح الخير.

أجابهـا وهـو سـعيد بأنهـا أول شيء يفـتح عليـه عينـاه ، فللحـب سحر على القلوب:

صباح النور.

ماريـــا فـــي مداعبـــة لفـــاروس، فقـــد اســـتيقظ لكنـــه لازال مستلقيًا على ظهره :

إنك نمت نومًا طويلًا.

فاروس يجيبها وقد شعر بنبض يؤلمه في ظهره:

نعم يا ماريا من التعب الذي كان بي.

ماريا : والآن أنت أفضل ؟

أشعر بالآلم في ظهري أشد من الأمس وأول أمس.

obeikandi.com

ماريا مشفقة عليه. لكن حضور الاحتفال شيء مقدس عند أهل الجزيرة.

حسنًا حبيبي والاحتفال ؟

أجابها : لن أخرج له.

خافت ماريا على فاروس من وساوس نفسه فردت قائلة:

أتخاطر بحياتك؟ إن الحصان البحري الساخر لو أخبره عيطا أنك لم تشهد الاحتفال سيغضب عليك وأنت تعرف غضبه.

إن الكاهن عيطا أرسل مناديًا في الجزيرة يخبرهم أن الحصان البحري هو من افترس عبرس ومركبه ؛ لأن عبرس كان عليه ديون كثيرة للمعبد لم يسددها من سنوات !!

رد فاروس – مضطرًا- :

حسنًا سأتحمل وأخرج معكم.

فرحت ماريا وقالت :

أنا جهزت الملابس ومنتظرة غروب الشمس للخروج. إنها الليلة الوحيدة في العام التي نخرج فيها من البيت بعد غروب الشمس ونشاهد فيها الجزيرة ليلًا ..

الليلة الوحيدة التي يخفن النداها وأم شوكة وعروسة البحر أن يظهرن فيها أو يأكلن أحدًا، ونشاهد فيها الميناء

obeikandl.com

وهـو عـامر بـالقوارب المربوطـة بـه لـيلًا .. فمعبـد الحصـان البحـري السـاخر بجـوار البحـر مباشـرة، مـا أعظمـه مـن معبـد وهـو متـزين .. فلهـم أيـام يجهـزون الزينـة يضـعون الشـموع الكبيـرة والـورود .. ويزينـون الأسـوار والحيطـان والأبـراج الأربعة بالشباك القديمة المتهالكة .

ما أجمله في الزينة .

فجميـع شـباك الجزيـرة القديمـة المتهالكـة يـؤتى بهـا إلى المعبـد هذه الأيام .

يـزين الحـراس والخـدم الأسـوار بالحصـان البحـري الصـغير ذلـك الحصـان البحـري المقـدس الـذي يشـبه الحصـان البحـري السـاخر .. فهـو متـدلٍ منهـا بشـكل جميـل ومنتشـر في عيون الشباك بشكل عشوائي يزيد من جمال تلك الزينة .

لحقها فاروس بشيء مما يدور بخلده وخاطره قائلًا:

ـ وهـو اليـوم الوحيـد الـذي نأخـذ فيـه شـيئًا نافعًـا مـن المعبـد، فعيطـا والخـدم معـه لا يتركـون أحـدًا إلا ويعطونـه الحلـوى فللرجـل حصـان بحـري كبيـر وللمـرأة عروسـة كبيـرة، وللطفـل حصان بحري صغير وللبنت عروسة صغيرة .

ماريـا تتجاهـل بعـض مـا فهمـت مـن كـلام فـاروس حتـى لا تذهب الفرحة قائلة:

obeikandl.com

نعم الجميع يأكل الحلوى ويسعد برضا الحصان البحري الساخر ونأكل من الصيادية والسمك المملح المبارك من قبل الحصان البحري، وبعدما لبسوا أفضل الثياب وتزينوا خرجوا وهم ينظرون على أبواب المنازل الأخرى وهم يشاهدون السعادة تكاد تقفز من أعين الجيران للخروج ليلًا أو للإحساس بالأمان لليلة واحدة في العام .

سار فاروس وماريا وابنتهم وابناؤه الخمس حسنس ولاداس وعوكلس وعوس وتيتي الرضيع تحمله أمه،

ساروا في طرقات الجزيرة الضيقة وبعد أن أوشكوا على الوصول، عوكلس يتطلع أثناء سيره للأمام ؛ لكي يشاهد أحدًا من الصيادين الذين يحبهم فيقول:

يا حسنس إن باب المعبد مفتوح والناس تتوافد إلى داخل المعبد ، الجميع في ساحة المعبد الكبيرة البهو وعندما اقتربوا من المعبد وعند الباب ، عويس ينادي بصوته الجهور القوي:

هلموا يا أهل الجزيرة إلى مائدة الحصان البحري الساخر .

الجميع يتقدم نحو المائدة .. إنها مائدة كبيرة وطويلة جدًّا عليها أطباق بها قطع من الأسماك موضوعة في حساء. إنها الصيادية المقدسة ، وكذلك الشرائح المملحة.

obeikandl.com

الجميع أكل منها إلا فاروس لم يأكل ولا أحد يعرف السبب ، حتى فاروس نفسه قد يكون وجع ظهره عكر صفو مزاجه وشهيته .

قد يكون!

وبعد أن انتهى الناس من أكل الشرائح المملحة والحساء، عويس ينادي:

. هلموا يا أهل الجزيرة إلى حلوى الحصان البحري.

فاروس يتقدم بزوجته ماريا وأبنائه.

الكل يأكل الحلوى الممزوجة برضا الحصان البحري .

الجميع سعيد ولكن لا أحد يعلم سر سعادتهم،

هل هو الإحساس برضا الحصان البحري الساخر؟

أم الإحساس بالأمان؟ أم الإحساس بأنهم سيأخذون شيئًا من ذلك المعبد دون أن يدفعوا شيئًا ؟

وبعد ساعات قليلة الناس بدأت في الانصراف،

وفاروس وماريا وأبناؤهما لازالوا في الساحة الكبيرة.

فاروس وجد ماريا وأبناءه لا يتحدثون عن مسألة العودة للمنزل من شدة سعادتهم فأثار تلك المسألة قائلًا:

الناس بدأت تخرج يا ماريا هيا بينا نعدْ إلى البيت.

ماريا مستمتعة بذلك اليوم المبارك فترد قائلة:

obeikandl.com

ابقَ قليلًا نريد أن نستمتع بليل الجزيرة الخلاب .

ولي صديقة لم أقابلها منذ سنوات أبحث عنها بنظري لعلي أجدها .

إنك تبحثين عن إبرة فى كوم من القش . الناس كثيرون ومنهم من خرج .

ماريا لازالت مصرة على البقاء للنهاية.

حسنًا انتظر يا فاروس،

وسنخرج جميعًا.. الأولاد فرحون، اتركهم يمرحوا في ذلك اليوم الجميل.

وبعد أن خرج الناس أفواجًا -كما دخلوا أفواجًا - لم يعد غير فاروس وماريا وأبنائهما . عادوا إلى البيت يسيرون ببطء وكانهم مستمتعون بالسير ليلًا فهم يأمنون شر الليل وما يجري فيه.

ولكن فاروس كان يسير ببطء لما يعانيه من آلام في الظهر.

وفي الطريق الضيق الموصل للمنزل، نظرت ماريا لفاروس وجدته يسير ببطء ويتحرك حركة غير منتظمة فتقول وقد خرج من عينها القلق:

مالك يا فاروس؟

يجيبها فاروس بصوت خافت متقطع:

obeikandl.com

إن ظهري يؤلمني.

كانت تظن ماريا أن وجع ظهره قد زال بنومه ليلة أمس ـــــ أما زال؟

فاروس يقول وهو يتألم: بل يزداد.

حسنًا .تحمل حتى نصل إلى البيت وتستريح، فأنت لم تعرف الراحة مذ عدت من رحلة الصيد الأخيرة

حسنًا.

وفي الطريق يقابل فاروس الصيادين ويسلم عليهم، فجميعهم لم يركبوا البحر منذ شهر بسبب سوء الطقس،

وسمعوا عن السمكة التي صادها فاروس ،لكنهم لم يفاتحوه في الكلام عنها إلا أبناؤهم الصغار فكان كل طفل صغير يقابله مع والده يترك أباه ويذهب لفاروس، ويسأله عن تلك السمكة الكبيرة التي تغلب عليها، وفاروس يسعد بذلك ويحكي عنها الكثير حتى أنه صار يكرر كلامه طول الطريق، ولكنه لم يمل من ذلك.

وفي البيت يجلس فاروس على أريكة له بجانب النافذة المطلة على الطريق الضيق المؤدي للمعبد، ويريح ظهره عليها.

obeikandl.com

ماريا ينتابها حالة نفسية سيئة من أجل مرض فاروس، ولكنها لا تظهر ذلك فتقول له :

. نم يا فاروس وسيتحسن ظهرك بالراحة.

. سأفعل

نام فاروس نومًا عميقًا واستيقظ صباحًا ، ونظر من النافذة وجد الغيوم لا زالت موجودة.

قال لنفسه: إن الشتاء هذا العام لم أشهد له مثيلًا من قبل.

استيقظت ماريا وذهبت سريعًا تعجن العجين، فإنها تخمره من ليلة أمس .

الألم يعاود فاروس، وينبض نبضًا منتظمًا ولكنه يزداد ويشتد حتى أصبح فاروس لا يتحمل ،فنادى: ـ ماريا ماريا .

ـ نعم فاروس. انتظر قليلًا أوشكت على الانتهاء من خَبز خُبز اليوم .باقي ثلاثة ارغفة في الفرن سأخرجها وأئتي.

فاروس لا ينتبه لكل ما تقول ولا يعبأ به وينادي مرة أخرى:

. ماريا ماريا.

تجيبه بكل بساطة وهي لا تشعر بمقدار الألم الذي بظهره:

. نعم فاروس ، الآن انتهيت من الخبيز.

. إن ظهري يؤلمني ولا أحتمل الألم.

obeikandl.com

تفكر قليلًا ثم تقول :

ـ اهـا سـمعت جـدتي تقـول : إنـه لا يشـفي وجـع الظهـر إلا شـبكة صـياد ابـن صـياد ، مزينـة بالحصـان البحـري الصـغير من تلك التي في معبد الحصان البحري الساخر.

فيرد عليها فاروس :

ـ أنـا صـياد ابـن صـياد وعنـدي شـبكة قديمـة متهالكـة أضـعها على سطح المنزل.

فتجيبه متعجبة من جهله بسر العلاج قائلة:

ـ يـا فـاروس السـر لـيس في الشـبكة. السـر في الحصـان البحـري الصـغير المبـارك مـن قبـل الحصـان البحـري السـاخر المتدلي من الشباك القديمة المباركة.

فـاروس يستفسـر منهـا عـن كيفيـة الاسـتخدام وقـد تعلـق بـأي شيء يخرجه من الألم، ولو كانت من وصفات المعبد:

وماذا أفعل بتلك الشبكة المزينة بحصان البحر ؟

تلـف بهـا علـى خصـرك و سـيزول الألـم مـدى الحيـاة، إنهـا نافعـة ومجربـة، هكـذا قالـت جـدتي لـي ، وكـذلك تنفـع تلـك الشـبكة فـيمن لـم تنجـب، تلتـف بهـا علـى خصـرها ولكـن شريطة أن تكون من معبد الحصان البحري

obeikandl.com

فـاروس يمسـك بظهـره ولا يفكـر فيمـا يقـال لـه إنمـا يفكـر في الألم المتزايد.

أنا لن أستطيع الخروج للمعبد. اذهبي أنتِ وأحضريها .

يتـذكر فـاروس مقولـة عيطـا: إن الحصـان البحـري السـاخر لا يقبـل أقـل مـن مائـة دينـار. إن مـن يُعـالج عنـده يصـبح مـن المقربين له ومن صفوة الجزيرة فيقول لماريا :

خذي معك مائة دينار، هكذا يقول عيطا كاهن المعبد.

فاروس ينتبه ويفكر فيما سيفعله.

ثم يقول:

. يا ماريا إن عيطا يأخذ أموالاً طائلة بسبب ذلك العلاج .

أجابته ماريا وهي في غاية الاعتزاز والفخر:

يكفيـك فخـرًا وشـرفًا أنـك تُعـالج أنـت وأبنـاؤك بعـلاج الحصـان البحـري السـاخر ،ثـم إن مـن يـدفع ثمـن العـلاج في المعبـد إذا جـاء عليـه عـام لا يسـتطيع أن يـدفع العشـرة دنـانير التي تُـدفع كل عام للمعبد يُعفى منها ، فما تدفعه لا يضيع.

يحـاول فـاروس أن يبـين لماريـا كيـف أن المعبـد يأخـذ أمـوالًا طائلة من أهل الجزيرة، ولكن بشكل غير مباشر

فقال:

obeikandl.com

لقد قطعت السمكة عشر قطع ادخرت قطعة لقوتنا هذا الشتاء وبعت تسع قطع، القطعة بمائة دينار

أخذ عيطا ثلاثمائة عندما ذهبت له بعوس وسيأخذ مائة الآن .

إن ماريا كانت تعلم كل ما يقصده فاروس، وكم كانت تتمنى أن تدفع أكثر مما تم دفعه ؛ لتصبح من صفوة الجزيرة المقربين للمعبد فمن يدفع أكثر يقرب أكثر.

فقالت:

إن برضا الحصان البحري الساخر عنك أصبحنا من صفوة الجزيرة وأصبح جميع أهل الجزيرة يعلمون أننا من المقربين للحصان البحري الساخر وهذا فخر لنا.

ذهبت ماريا مسرعة إلى المعبد تسير في طرقات الجزيرة مهرولة ينتابها شعور بالقلق على زوجها المريض طريح الفراش، وعندما وصلت للمعبد طلبت الدخول للكاهن عيطا.

الحارس الضخم يوصلها لعويس فيقول لها: انتظري قليلًا.

تأخذ إذنًا بالدخول للهو ، فتدخل ويستقبلها الكاهن عيطا:

تعالي ماذا بك؟

obeikandl.com

فتجيبه في خضوع بصوت رقيق:

إنني ماريا زوجة الصياد فاروس وإن زوجي فاروس يعاني من ألم في ظهره وأريد حلًّا من المعبد.

ـ اها قدمي العطية لمرضاة الحصان البحري الساخر.

ماريا تنظر في الجراب الجلدي المعلق في رقبتها وتقول:

إن معي المائة دينار.

يرتفع صوت عيطا.

أعطيني إياها ، لعله يرضى عنك.

تثرثر ماريا ، فهي سعيدة بالكلام مع الكاهن عيطا، فلا أحد يستطيع أن يخاطبه إلا المقربون، ومن يدفعون مئات الدنانير:

أخبرتني جدتي أن العلاج في شبكة الصيد القديمة المعلق عليها الحصان البحري. إنه مجرب وفعال.

ابتسم عيطا ابتسامة خبيثة، ثم نظر إليها وقال :

إنكم عائلة مستنيرة وأنتِ وجدتك يحبكما الحصان البحري.

ماريا انتابتها سعادة رهيبة.

عيطا ينادى: يا عويس

السمع والطاعة يا مبارك.

obeikandl.com

عيطا وهو يتمتم بعض الطلاسم:

اذهب إلى البرج الغربى وأحضر لي الشبكة العالقة عليه المزينة بالحصان البحري.

حاضر.

ذهب عويس وهو يسير ببطء، وكان هذا البطء من الطقوس.

عاد بشبكة متهالكة صفراء معلقًا بها الحصان البحري.

تفضل يا كاهن الجزيرة .

فتح عيطا يديه ، واستلم الشبكة وظل يحملها وهو رافع يده على هيئة وضع الدعاء وكأنه يدعو،

ثم قال :

. خذي يا ماريا .

إنه يعطيها حق تملكها ،لكن توصيلها إلى البيت من طقوس المعبد . ماريا تعلم ذلك وتنتابها نشوة عجيبة كل يوم تزداد شهرة في الجزيرة بقربها من الحصان البحري الساخر.

ثم نادى :

حراس .

ــ أقيموا طقوس معبد الحصان البحري وأوصلوها إلى البيت.

obeikandl.com

تسير ماريا ببطء في طرقات المدينة والجميع يراها وهي تتبختر مفتخرة بشبكة معبد الحصان البحري والحرس معها على الصفين وحامل الشبكة يسير أمامها رافع الرأس

حتى تصل للبيت في طقوس معبدية مهيبة ، وما أن وصلت إلى البيت إلا وأعطاها حامل الشبكة الشبكة، ثم التف ومعه الحرس وعادوا كما جاءوا بنفس البطء في الحركة والخطوة الطقوسية. أغلقت ماريا الباب .

دخلت بالشبكة على فاروس وهو على الحالة التي تركته عليها .

ـ يا فاروس لم تشاهد أنت أعين الناس وهم ينظرون إلى ما وصلنا إليه من منزلة عند الحصان البحري.

الألم يزداد على فاروس فرد قائلًا:

ـ لا يشغلني هذا إنما يشغلني أين العلاج؟

ـ ها هي الشبكة .

فاروس:

لقد سخنت مياهًا واغتسلت بمياه ساخنة، فقد يكون ظهري فيه رطوبة من البرودة القارسة التي نهشت جسدي في البحر.

وبعد ذلك دهنت ظهري بزيت كبد الدرفيل .

obeikandl.com

ماريا لا تهتم بما يقول .

كل هذا ما له تأثير. الحل في الشبكة خذها والتف بها .

أعطيني إياها .

تفضل.

يجلس فاروس ، ويكشف عن ظهره ويلف بالشبكة على خصره فالوجع في أسفل الظهر، لكنه متشكك في ذلك العلاج.

فهو يفعل ما أرادته به إرادة الحصان البحري الساخر.

ولكنه في قرارة نفسه غير مقتنع لكن لا يستطيع أن يبوح فقد يُقتل على يد سياف عيطا أو كبير حراسه عويس،

أما الخوف من أن يقتل على يد الحصان البحري ذاته فلا يشغله؛ لأنه لن يركب البحر هذا الشتاء ، ولأنه بدأ يتشكك في وجوده أصلًا.

مرت أيام ويجد فاروس تحسنًا في ظهره ، ولكنه متيقن هذه المرة من أن إمرار الماء الدافئ على ظهره ، وزيت كبد الدرفيل كانا سبب التحسن .

ومرت أيام وفي صباح يوم جديد،

يستيقظ فاروس على صوت مياه المطر وهي تتساقط على النافذة ولا يجد ماريا، فيقول في نفسه قد تكون ذهبت لشراء أي شيء من السوق ، وبعد لحظات تطرق الباب.

ها هي تعود سعيدة ومعها تيتي الرضيع يسير على رجليه فهو له أيام يسير بعد أن كان يستند بيده على الحائط، يستفسر فاروس عن سبب غيابها عن المنزل.

أين كنتِ فالأمطار لا تتوقف؟

كنت أقطع الفرع .

أي فرع ؟

ماريا متعجبة من فقدان فاروس للذاكرة المعبدية ولطقوس المعبد التي لا تنتهي .

أنت من جزيرة فاروس وكأنك أتيت من عالم آخر. ألم يخبرك أحد أن الرضيع بعد أن يتم سنة لن يسير على قدميه إلا بعد أن يربط قدميه بفرع شجرة رفيع ويقطع ذلك الفرع أول رجل يخرج من معبد الحصان البحري الساخر المقدس؟

فاروس مجادلًا: إن تيتي يسير منذ أيام بدون قطع ووصل.

ماريا: هكذا تعلمنا من آبائنا وأجدادنا .

وأشعر بسعادة كبيرة وأنا أقوم بواجباتى تجاه المعبد.

obeikandl.com

فاروس وقد انتابته حالة سخط عامة على المعبد وتعاليمه:

وأنا لا أشعر بشيء .

أو أشعر وكأني لا أشعر،

أو فى أعماق حرمان من شيء لا أعرفه لكني أشعر بفقدانه.

الشعور نعمة كبيرة .

وأحياناً يكون نقمة عندما نشعر بالحرمان واليأس وقلة الحيلة.

ماريا مشفقة:

ـ يا فاروس يا حبيبي عش عيشة أهلك . إن لم تستطع أن تعيشها فتعايش ، فإني أرى أن عندك تساؤلات وشكوكًا قد تقضي عليك.

إن فاروس يشعر بتحول كبير داخله .

ـ الإنسان جاء في هذه الدنيا عاريًا ضعيفًا نزل من بطن أمه لا يعلم شيئًا باكيًا

لا يعلم من أين جاء؟

وإلى أين يعود؟

ومن جاء به؟

ولماذا ؟

وماذا أريد منه؟

obeikandl.com

وعشتُ حياتى أبحث عن إجابات لهذة الأسئلة فلم أجد .

تجيبه ماريا وقد شعرت بضيق ؛ بسبب الكابوس الذي تعيش فيه، وتتمنى أن يعود فاروس كما كان، وأن يترك تلك الأفكار:

أنت تخضع للحصان البحري الساخر ويكفي أن هو يعلم.

تعجب فاروس من كلمة يكفي أن يعلم هو.

أعتقد أن من حق كل إنسان أن يبحث عن سبب وجوده في الحياة ، وإلى أين سيعود حتى يعلم من له حق عليه.

خافت ماريا من العواقب المترتب عليها كلام فاروس، فقالت وهي غاضبة: أراك ستصبأ وتترك معتقدات آبائك وأجدادك، لن أفلح إلا إذا وجدت إجابات مقنعة لتلك الأسئلة التي تحوم بخاطري.

تغيرت لهجة ماريا وتحولت من الشدة للين وقالت في حنوٍّ:

. إني أخاف عليك فاروس.

ينظر فاروس لعينيّ ماريا الدامعة ويقول:

ـ وأنا أيضًا أخاف عليكِ وعلى نفسي ، وعلى أهل الجزيرة جميعًا ، أخاف عليهم من كل شر.

تركت ماريا فاروس ، وذهبت لغرفة الأبناء تنام بجانبهم غاضبة ، وجلس هو بجوار النافذة المغلقة، فقد قاربت

obeikandl.com

الشمس على الغروب والجميع أغلق النوافذ قبل غروب الشمس خوفًا من الليل وما يحدث فيه من أصوات غريبة وصراعات بين النداها وأم شوكة ، جميع أهل الجزيرة يسمع صيحاتهم المرعبة .. أريد أن أبكي

أريد أن أبكي، أشعر بإنسانيتي عندما أبكي

هل جفت الجفون؟، هل نتعلم البكاء؟، لا تُشترى المشاعر، لا يباع الإحساس.. كم أحترم البكائين ، أحترم السماء، أحترم الثكلى والأرامل والمعذبين ، أحترم كل عين بكت إشفاقًا

أريد أن أبكي فتغمر دموعي الأرض فأسبح فيها لتطهرني

كنت أظن أن من لا يبكي رجل جدير بالحياة

لكني اكتشفت أنه ذو قلب تيبس من ضربات الزمان مثلي

وبعد أن أسدل الليل سدوله ..

وأظلمت الجزيرة فعل فاروس فعلة عجيبة لم يقدر على فعلها أحد من أهل الجزيرة، فقد فتح النافذة وجلس بجوارها يفكر،

ويتعجب من تحوله الغريب فقد أصبح لا يخاف شيئًا، ولا يعلم السبب أهو زهده في الحياة أم يقين داخلي بأنه لا يوجد ما يخيفه ؟

obeikandl.com

ونظر من النافذة فشاهد شيئًا عجيبًا، فقد وجد من بعيد في ضوء القمر الخافت رجلًا واقفًا ، ضخم الجسم ومعلقًا سيفًا. انتبه له فاروس وعلم أنه من المعبد؛ لأن الحصان البحري يمنع أهل الجزيرة من أن يحملوا أسيافًا إلا الشومة الخشبية فقط ، وما أن اقترب قليلًا حتى عرفه فاروس.

إنه عويس الحبشي خادم عيطا. ما الذي أوقفه في تلك الساعة في هذا المكان يتوارى خلف الجدار؟

وما الذي بيده هذا ؟ إنه شيء مخيف. هل اصطاد حيوانًا من حيوانات الجن واحتفظ برأسه ؟

ظل فاروس مترقبًا في خلسة وخفية يرفع عينه، فيختلس نظرة ثم يعود ويختبئ وأثناء وهو ينظر ، إذ به يشاهد عويسًا يرتدي ذلك الرأس العجيب !!

يسير ببطء بجوار النوافذ .. يفزع أهلها ويخيفهم،

ويصدر أصواتاً مخيفة وكأنها فحيح ثعابين.

يغلق فاروس النافذة سريعًا ؛ لأنه لم يستطع أن يتخذ قراراً وهو يختلس النظرات ويكتشف مثل هذا الاكتشاف فأغلقها ؛ ليفكر في تلك المفاجأة .

لـم يسـعد فـاروس في حياتـه مثلمـا سـعد في تلـك اللحظـة ، فقد كفر بالحصان البحري الساخر إلى الأبد،

وتـيقن مـن أن كـل مـا يقـوم بـه عيطـا مـا هـو إلا دجـل وخرافـات، ولـيس لـه أصـل ولا صـلة بالحقـائق وأن سـيطرة الحصـان البحـري مـا هـو إلا وهـم ظـل الكهنـة يهيمنـون بـه علـى الجزيـرة لقـرون طويلـة، فكـل الشـكوك التـي كانـت بداخلـه أصـبحت حقيقـة، ولكنهـا سـعادة للحظـات انتابـه بعـدها شـعور بالأسـى علـى أهـل الجزيـرة الـذين ظلـوا مخدوعين لعقود سحيقة.

مـاذا يفعـل فـاروس؟ يخـرج يطـرق جميـع أبـواب الجزيرة؛ليخبرهم بما شاهده .

قـد يـدفعهم التقليـد الأعمى لتكذيبـه، قـد يـدفعهم تعصـبهم لسبه وشتمه وضربه.

مسـكين فـاروس فقـد يلقـى مصـير المصـلحين. فبعـد أن راودتـه تلك الفكـرة عـاد عنهـا وفكـر في الخـلاص لـه ولأهـل الجزيـرة مـن سـيطرة المعبـد وجهالتـه ، ألقـى بظهـره على السـرير وظـل يفكـر ويفكر.

نـام فـاروس تلـك الليلـة وهـو يشـعر أنـه أصـبح يحمـل همـوم الجزيـرة بأكملهـا، وأن أمـرهم الاعتقـادي كلـه أصـبح علـى

obeikandl.com

عاتقه ، فعليه أن يخرجهم من تلك الظلمات التي تحيط بهم .. وبعد شروق الشمس يخرج ليتفقد أحوال البحر، هل يمكنه أن يعاود الخروج بقاربه للصيد بعد تلك الأيام ذات الطقس المضطرب ؟ فيجد البحر عاتيًا ،كأنه فتى جلد في ريعان الفتوة والشباب يصرخ، فيرعب من يخشاه بطشه.

ألوم عليك يا بحر، ألوم تقلبك... ألوم غدرك، فكم احتويتنا على شاطئك الفسيح ونحن صغار، كنا نجري ونمرح ونضحك ونداعب رمالك البيضاء.. تتعالى ضحكاتنا مع اصطدام الأمواج بظهورنا، فقد كنا نستشعر إشفاقك علينا، نحتفظ للذكرى بالمحارة.. منذ متى وأنت غادر؟

لم تكن كذلك.

لقد رأيتك وأنت تحمل السفينة وتطرحها على الصخر حتى صارت حطامًا، وغرق جميع البحارة حتى من تعلق بقطعة من الخشب مات بردًا، مات خوفًا من طغيانك وتجبرك، عد إلى هدوئك وسكينتك، عد إلى إنسانيتك ولا تعاملنا بالمثل.

قال البحر:

لا تلومـوني ولومـوا الريـاح التي تـتحكم في كـل قطـرة مـاء فيَّ فأنـا كالريشـة في الهـواء، كمنـديل في خـلاء، كورقـة شـجر سقطت لتشارك في العراء.

وأثنـاء وقوفـه بالمينـاء يشـاهد مـن بعيـد عويسًـا يقـف ويلتـف حولـه النـاس .. إنـه ظـاهر مـن بينهم لعـرض منكبيـه وضخامة كراديسه وبشرته السمراء.

فبعـد أن وجـد البحـر كعادتـه هائجًـا ويـأبى الركـوب سـار في بطء نحو المعبد ؛ ليشاهد ماذا يدور هناك .

يقتـرب مـن النـاس ويقـف حيـث التجمـع خلفهـم وكأنـه لا يهـتم كثيـرًا مـثلهم ، لكنـه كـان شـديد التلهـف لمعرفـه مـاذا يقـول عويس فسمعه يقول:

نعـم نعـم أيهـا السـكان الطيبـون سـمعت ذلـك الحيـوان المخيـف إنني بحكـم أني خـادم معبـد ، نظـرت لأشـاهد مـا هـذا المخلـوق الـذي لـه ذلـك الصـوت المخيـف فوجدتـه حيوانًـا مفترسًـا نصـفه نصـف إنسـان و النصـف الأعلـى حيـوان مفتـرس . إن الحصـان البحـري يحمـيكم مـن الكثيـر مـن تلـك الكائنات المخيفة .

أظهـر فـاروس الإعجـاب والإيمـان بمـا يقولـه عـويس، فقـد كـان فاتحًـا العينـين البراقتين، فكانتـا لا تطـرف حتى لا يفوتـه

obeikandl.com

شـيء ويـزداد إيمانًـا .. هكـذا أراد أن يوصـل بتلـك التعبيـرات لعويس.

ولكـن عـويس لـم يشـاهده أصـلًا، فـالكثير مـن الصـيادين خرجـوا ليتفقـدوا أحـوال البحـر، كـذلك بعـض تجـار الأسـماك والبـاقي مـن باعـة الزيـوت والحبـوب ، والجميـع التـف حـول عويس؛ليسـتمع لمـا يقـول ظـل فـاروس يسـتمع لمـا يقولـه عـويس وهـو لا يسـتطيع أن يكذبـه أو يقـول إنني رأيتـك أمـس وأنـت ترتـدي القنـاع المخيـف وتصـدر تلـك الأصـوات المرعبـة ، فهو يعلم العواقب فلن يصدقه أحد .

سـيخبر عـويس عيطـا بمـا حـدث، ويرسـل عيطـا لـه الحـراس يأخذونـه ولـن يـراه أحـد بعـد ذلـك اليـوم. إن لعيطـا مائـة حـارس أشـداء يلتفـون حـول المعبـد وعلـى الأبـراج التـي في أركان المعبد ،منتشرين بداخل المعبد .

ومـا إن انصـرف عـويس إلا وبـدأ النـاس المجتمعـون حولـه بـالثرثرة بـالكلام الكثير وكل متحـدث وجـد مـن يسـمع وارتفعـت أصـواتهم ولكـن كلامهـم لـم يعجـب فـاروس. فـالجميع يريـد أن يؤكـد مـا قالـه عـويس ولـم يعتـرض أحـد أو يجـادل، ولكـن فـاروس يعـذرهم فـإن عويسًـا لـم يـألُ جهـدًا في أن يطـوف الجزيـرة بأكملهـا مرتـديًا القنـاع ليلـة أمـس لكـي يـدخل لهـم

obeikandl.com

تلك القناعة المستميتة في عقولهم البسيطة، وما أن وجد فاروس الجميع منشغلًا بالكلام والاستماع لبعضهم البعض إلا وانسحب ببطء وسار يفكر وقد ازداد إشفاقًا عليهم.

عاد فاروس إلى البيت ولم يكلم أحدًا. جلس بجوار تلك النافذة التي أطلعته على الحقيقة الدفينة لأحقاب كثيرة وما أن علم أبناؤه أنه عاد إلا والتفوا حوله الواحد تلو الآخر حتى ابنته مياسا،فإنها فرصة؛ ليجلسوا مع أبيهم فإنه دائمًا خارج المنزل؛ ليجلب لهم أقواتهم ونظرًا لحالة الجو السيئة التي تمنعه من الصيد يجدونه بينهم وما أن أحضرت ماريا الفريك حبوب الغلة المطبوخة إلا وأكلوا جميعًا.

لاداس بدأ الكلام عندما نظر إلى المائدة فلم يجد شرائح التونة المملحة.

لماذا يا أمي لم تحضري شرائح التونة المملحة ؟

تجيبه الأم وهي تنظر إليه ،ثم تلتفت لكل من جلس للطعام قائلة: الجميع يأكل من الفريك ومن لم يعجبه فليطلب ما شاء .

لاداس يجعل من التذوق اختبارًا لمهارة الأم في الطبخ فيقول: إذًا فلنذقْ جميعًا أولًا .

obeikandi.com

مياسا وهي ممسكة الملعقة الخشبية: سأبدأ أنا اممممم ما أطعمه .

فاروس مبتسمًا مخاطبًا مياسا :

أعلم أنه سيعجبك فإنك الأكثر شهادة لأمك .

ضحك الجميع وابتسم فاروس فقط . فإن التفكير وانشغال البال جعله لا يستطيع أن يتم الضحكة.

ماريا وكلها ثقة :

أحضر شرائح التونة المملحة ؟

لاداس يريد أن يبين أنه كان يمزح مع والدته فيقول:

لا لا إن الفريك ممتع وخصوصًا البقدونس والتوابل ومقدار الملح .

أنتِ ماهرة يا أمي في عمل كل شيء.

وما أن انتهى فاروس من الغداء إلا وسمع مناديًا ينادي: يا أهل الجزيرة إن الكاهن العظيم عيطا يريدكم الآن في المعبد .كل بيت لابد أن يرسل مندوبًا عنه.

ينتبه فاروس لما يقال، فالموضوع مختص بالمعبد وشروره وتشغف فاروس للأمر الذي جمع عيطا الناس من أجله، خرج فاروس من بيته مسرعًا وهو يهرول وكأنه من كبار

obeikandl.com

المؤمنين بالمعبد ومن المهتمين بأمره، لكنه أراد أن يعرف ماذا يدبر عيطا.

وما أن وصل فاروس للمعبد إلا ووجد جميع رجال الجزيرة وشبابها وبعض الصبية والشيوخ يتوافدون على ساحة المعبد الكبيرة على الرغم من هطول الأمطار بغزارة، فالأمطار لا تتوقف أبدًا هذا الشتاء الذي لم يشهد أحد مثله ممن هو باقٍ على ظهر الجزيرة حتى من بلغ من الكبر عتيًّا. بهكذا يثرثرون ويتحدثون قبل أن يخرج عليهم عيطا

فالكل منتظر، الجميع يحملق بعينيه ناحية الباب الداخلي لحجرة الكائن عيطا المطلة على البهو الكبير، وفجأة يُفتح الباب ويخرج عيطا.

يقول بلا مقدمات: الأمر خطير جلل ، ولقد سمعتم صوتها أمس وهي تعوي. فيقول الناس بأصوات متداخلة : نعم نعم لقد سمعتها وأنا وأنا.

عيطا وقد وقف وهو يرتدي رداء المعبد المقدس ويمسك بيده العصى الذهبية : اسمعوا وانتبهوا: إن في القلعة القديمة كهفًا له درك ينتهي إلى مكان بداخله تماثيل لأشخاص ، هذا الكهف يسكنه بنتان من الجرجونات

الـثلاث بعـد أن قتـل بروسـيوس أختـهم ميدوسـا، أهـل الجزيـرة متعجبون مما يسمعون.

ـ الجرجونات الثلاث؟

ـ الجرجونات؟

ـ ما قصتهم؟

ـ أعطنا من علمك نعم نعم أمر عجيب.

الأصوات تتداخل.

فيقول عيطا :

إن ميدوسـا كانـت بنتًـا جميلـة مـن سـلالة إلهـة ، ولكنهـا مارسـت الحـب في معبـد أثينـا، وادعـت أنهـا أجمـل مـن أثينـا وأن شـعرها الطويـل النـاعم أفضـل مـن شـعر أثينـا فغضـبت أثينـا وحولتهـا هـى و أختيهـا إلـى كائنـات مرعبـة، فلقـد تحولـت أيـديهن إلى نحـاس، وصـار لسـاهن مشـقوقًا كألسـنة الأفـاعي المرعبـة وتحـول شـعرهن إلى ثعـابين مخيفـة صـوت فحيحهـا يرعـب أي إنسـان، ومـا أن تقـع أبصـارهن على أحـد إلا وتحـول لحجـر وقـد نفـتهم إلى جزيـرة فـاروس أو فـروا منهـا لا أحد يعلم كيف أتوا إلى هنا تحديدًا ولماذا؟

أهـل الجزيـرة : نعـم نعـم سـمعنا أمـس صـوت فحـيح نعـم نعم.

obeikandl.com

يصرخ عيطا وقد رسم على وجهه القلق الكاذب: اسمعوا : أما ميدوسا فقد هلكت قتلها بروسيوس ابن الإله زيوس، وأما اختاها فلازالا في الجزيرة هنا في الكهف المظلم بالقلعة المهجورة وما إن تغرب الشمس إلا ويسيران في الجزيرة يبحثان عن ضحية أراد فاروس المداخلة لعيطا في كلامه فرفع له يده وهو يتحدث فأذن له عيطا بالكلام فقال:

ـ كيف قتل بروسيوس ميدوسا حتى نعلم كيف نقتلهما ؟

أجابه عيطا بصوت مرتفع:

ـ إن بروسيوس معه درع مقدس ما إن نظرت إليه ميدوسا إلا وانعكس ضوء عينها عليها فتحولت صخرًا فقطع رأسها بروسيوس وأخذها معه ؛ ليقضي على التنين الذي كانت ستقدمه حبيبته له كقربان ، أما اختاها فلا يستطيع أن يقتلهما أحد فلو وقع نظرهم على إنسان صار حجرًا

لم يتضايق عيطا من كلام فاروس ، فإنه من أكثر أهل الجزيرة تقديمًا عطايا للمعبد.

فاروس يلحقه بالاستفسار الذي ينتظره عيطا وكذلك ينتظره فاروس؛ ليعلم الخدعة الجديدة كم ستكلف

ـ وما العمل ؟

يجيبه عيطا وهو يقصد كل أهل الجزيرة :

obeikandl.com

ـ لا بد من عمل رأس ذهبي لميدوسا ويقوم رجل مؤمن من المعبد بوضعه في الكهف ليلًا كقربان لهم وإلا فقد يجعلونا كلنا حجارة .

كلنا حجارة كلنا حجارة . يكررها عيطا مرارًا وهو يصرخ منفعلًا.

أصوات الناس تتعالى:

. نصنع الرأس

. نصنع الرأس

يقول عيطا:

ـ صنع الرأس من اختصاص المعبد . لابد لكل بيت في الجزيرة أن يخرج عشرة دنانير

فاروس يخاطب نفسه في سره:

إنها حيلة جديدة من الخبيث عيطا ومن فى المعبد ؛ لنهب أموال أهل الجزيرة البسطاء.

يصمت فاروس ، يتطلع في الوجوه ؛ ليعلم رد فعل الناس فمنهم من لايستطيع دفع ذلك المبلغ الكبير،

ينظر فاروس في عيون الناس من حوله فيجد الصمت والاهتمام يسيطر عليهم، ولكن عيطا يلحقهم بتفسيره لطرق الدفع وتسهيلاته قائلًا: ـ من لا يقدر أن يخرجها

obeikandl.com

كاملة فليدفع ما يستطيع دفعه، ويظل الباقي دينًا عليه للمعبد حتى يقضيه .

الجميع تعلو أصواتهم :

ـ نعم نعم ندفع لنأمن على أنفسنا .

يصرخ عيطا وهو يتمتم بطلاسم ثم يقول:

ـ الآن انصرفوا .

يبدأ الناس في الرجوع لمنازلهم حتى فاروس سار منكسرًا يشعر بخيبة أمل فهو لم يستطع أن يفعل شيئًا لأهل الجزيرة ويزيد الطين بلة أنه لا يستطيع أن يفعل شيئًا لنفسه وسيدفع العشرة دنانير رغمًا عن أنفه وإلا وقع في غضب عيطا وزبانيته، وكذلك أهل الجزيرة الذين يظنون أنهم لولا عيطا لما كانوا.

الجميع عاد إلى ما كان عليه قبل هذا الاجتماع الهام ،فالخباز عاد إلى مخبزه، والتاجر عاد إلى مكان تجارته في السوق، والصياد عاد إلى بيته لأن الطقس لا يسمح لجميع عمليات الصيد.

وما إن عاد فاروس إلى البيت إلا وسمع ماريا زوجته تضرب ابنته مياسا.

انزعج فاروس، ثم مسك بيد ماريا وقال: ـ اتركيها اتركيها .

obeikandl.com

ماريا وهى منفعلة :

ـ دعني أعاقبها .

فاروس : ماذا فعلت ؟

ماريا وهي لا تنظر في وجه فاروس :

ـ اسألها هي ماذا فعلت ؟

وماسا تبكي بحرقة فهي بنت السبع سنوات.

فاروس بعطف أبوي يقول:

ـ احكي لي يا ماسا ما حدث منك.

تجيبه ماسا وهي تبكي :

ـ لم أفعل شيئًا يا أبي إن أمي كانت تقص بالمقص وبعد أن انتهت من قطع قطعة من الجلد لكي تصلح بها نعلها.

قالت : خذي المقص وضعيه بجوار السكاكين في الصندوق الخشبي ، فأخذته وأدخلت أصابعي في عينيه الكبيرتين وقبضت عليه بيدي وفتحت وقفلت به لأسمع صوته إلا ونهتني أمي بشدة وكأني أجرمت وفعلت فعلة كبرى فظللت أفتح وأقفل فيه ولا أعبأ بما تقول؛ لأنني ما توقعت أن تكون تلك الفعلة لها هذا الصدى .. يقول فاروس في إنصاف:

أراكِ لم تفعلي شيئًا .

obeikandl.com

ينظر فاروس لماريا يجدها منشغلة في ترتيب المخادع الجلدية المحشوة ريش الداجن بحدة وعصبية فيخاطبها بهدوء قائلًا:

ـ يا ماريا يا حبيبتي وماذا فيها أن تفتح وتقفل المقص بغير قماش أو جلد أيجب أن يقطع المقص شيئًا ؟

فقد أخذته كلعبة تسعد بسماع صوته وهو يفتح وهو يغلق وتسعد أكثر بأنها تستطيع أن تقطع به في أي وقت تريد ، فالطفلة تقلد أمها في كل شيء ، وتتمنى أن تستطيع أن تقوم بما تقوم به أمها .

تغضب ماريا من كلامه فتقول:

. أما تستحي يا فاروس ؟

. على ماذا ؟

. إنك نسيت تعاليم معبد الحصان البحري.

إن فتح المقص وقفله في الهواء وصدور ذلك الصوت الحاد منه يغضب الحصان البحري ويأتي بالشر لأهل البيت ألم تتعلم ذلك صغيرًا في المعبد ؟

ثم تقول في حدة شديدة لم يعهدها فاروس منها من قبل ، ولكن تلك الحدة لها أسباب سبقتها فماريا ولو تبدو بعيدة فى بعض الأحيان عن فاروس ، لكنها تشعر به وتفهمه

obeikandl.com

وتلاحظ تصرفاته ولن تكون كاذبًا إذا قلت تقرأ أفكاره دون أن يتكلم:

. أعتقد أنك كفرت بتعاليم المعبد يا فاروس .

حكمة فاروس جعلته يصمت وينصرف، ويخرج من البيت يجلس على صخرته الجرنيتية الصغيرة التي بجانب منزله فإنها لا تسع إلا لشخص أو اثنين فقط .

فيبقى على الغروب شيء من الوقت،

الأمطار تتساقط بغزارة ولكن فاروس يحتمى تحت الخشبتين الطويلتين اللتين تُسمى المجاديف ، اللتين يستخدمهما في تحريك القارب عندما لا يكون هناك ريح لدفع الشراع المعلق بالصاري فيتحرك القارب بفعلهما ونظرًا لسوء الطقس وعدم صلاحيته للصيد، فقد وضعهما على سطح المنزل ونظرًا لطولهما تمتدان خارج سطح البيت أعلى الصخرة .

جلس فاروس يفكر ويتذكر تلك الخرافات التي علقت بذهن ماريا منذ الصغر بل علقت في ذهن الجميع في الجزيرة بسبب ذلك المعبد الملعون. فاروس يتذكر عندما كان صغيرًا وعمره خمس سنوات، فقد حاول مرة أن يقلد الأطفال الرضع عندما تحبو فقالت له أمه:

obeikandl.com

يـا فـاروس لقـد أخبرنـا كـاهن المعبـد قـديمًا أنـه إذا حبـا الطفـل الكبيـر كالطفـل الرضـيع لابـد أن يـأتي لكـم ضـيف في القريب العاجل .

يتعجـب فـاروس مـن تلـك الخرافـة ، فقـد كـان لا يـأتي أحـد ومع ذلك يظل الناس على تلك الخرافة إلى اليوم

وعنـدما حـك بـاطن يـده وشـاهده أبـوه وهـو يفعـل ذلـك فقـال لـه سـتفوز بمـال كثيـر في القريـب العاجـل ، ولـم يصـله مـال كثيـر مـن يـوم مـا وُلـد إلى يـوم أن بـاع سـمكة التونـة وقـبض التسعمائة دينار.

ويتـذكر منظـر الأطفـال الرضـع وهـم معلقـون الحزاقـة وهـي قطعـة حديديـة لهـا شـقان كـل شـق منهـا على شـكل حلزونـي تعلق على صدر الرضيع كى لا يحزق.

وكـأن تلـك القطعـة المعدنيـة التـي تشـبه ذيـل الحصـان البحري الساخر فيها الشفاء !!

يعود فاروس للواقع المؤلم ويتذكر كلمة ماريا :

أعتقد أنك كفرت بتعاليم المعبد يا فاروس.

أعتقـد أنـك كفـرت بتعـاليم المعبـد يـا فـاروس، لا زالـت الكلمة ترن في أذنه،يخاطب فاروس نفسه:

نعم وهْمٌ يضحك.

obeikandl.com

وأثناء ما فاروس يفكر إذ يراه صديقه عسمتس من نافذة بيته ، فيخرج وهو يرفع يده يحمي بها رأسه من الأمطار وهو يحمل قطعة من الجلد كبيرة ؛لتحميه من الأمطار ويجلس بجوار فاروس على الصخرة ويسعد فاروس لرؤيته فإنه لم يره منذ أشهر.

. كيفك عسمتس؟

. تمام .

. كيف حال أسرتك؟

. بخير .

يستفسر عسمتس عن سمكة التونة؟

. سمعت أنك صدت سمكة تونة كبيرة جدًّا.

. نعم .

أراد عسمتس أن يتحدث عن السمكة الكبيرة ، لكن فاروس أراد أن يحدثه فيما هو أهم من السمكة أهم من كل شيء إنه الاعتقاد .

وجد فاروس ضالته. وجد من يخاطبه وكأنه يخاطب ضميره إنه أعز أصدقائه عسمتس. إنه يستطيع أن يقول له أي سر أي إحساس أي فكرة وردت بخاطره إنه صديق

obeikandl.com

عمره عسمتس فهو إنسان طيب وعلى قدر من الذكاء والفطنة، بدأ فاروس بالكلام عن الأموال التي تُنهب من أهل الجزيرة قائلًا:

. هل دفعت العشرة دنانير للمعبد ؟

ـ لن أدفع الآن إلا دينارًا فقط، فقد أتعبنا ذلك الشتاء كثيرًا، ولي أكثر من شهر لم أخرج للصيد وما ادخرته طول حياتي أنفق منه.

. والباقي ؟

أجابه عسمتس:

ـ سأرجئه للربيع القادم عندما يتحسن الطقس إن المعبد سمح بذلك.

يغير فاروس الموضوع بتذكير عسمتس بأيام الطفولة:

ـ الأيام مرت سريعًا كنا نلعب ونحن صغار سويًّا، والآن أصبح لدينا أبناء وأصبحنا في العقد الرابع من العمر.

يقول عسمتس:

. نعم ما أسرع مرور الأيام.

فيرد عليه فاروس:

. وما أسرع مرور العمر.

obeikandl.com

يبدأ عسمتس في الحديث عن ذكريات المعبد، فقد نجح فاروس في استثارة ذهنه بسؤاله عن الدنانير:

ـ أتتذكر عندما كنا نذهب للمعبد صغارًا ونسمع من الكاهن تعاليم الحصان البحري الساخر؟

لا يجد فاروس مفرًّا من أن يصدم عسمتس برد صادم فيقول:

نعم التعاليم التي تصطدم مع العقل والعلم.

عسمتس تبدو عليه علامات الاندهاش ؛ لأنه كان يعتقد أن فاروس من أشد الناس إيماناً بالمعبد ، ويرد قائلاً:

ـ أتقول أنت ذلك وأنت أكثر الناس قربًا من عيطا ؟ فقد علمت الجزيرة بما قدمت للمعبد من دنانير نظير علاجك وعلاج ابنك علاجًا مقدسًا.

ـ العلاج كان في زيت الزيتون وزيت كبد الدرفيل. إنها زيوت طيبة مفيدة للجسد تتخلل الجلد وتغوص في أعماق الجسد فتشفيه من دائه.

يتساءل عسمتس مندهشًا:

. والعلاج المقدس؟

. إنه دجل وخرافة ووصفات سخيفة للسطو على المال.

obeikandl.com

عسمتس يصمت ولا يقول شيئًا وكأن شيئًا داخله يتحرك، لكن خشيته العواقب جعلته يصمت ولكن بداخله صراع بين قول الحق والخوف من العواقب. هل من الممكن أن أسألك أسئلة لعلك تستطيع أن تجيب عنها ؟ فقد أكملت أنت تعليمك في المعبد لكني تركته لظروف مرض أبي.

يقول عسمتس : ـ أي أسئلة ؟

ـ الأسئلة التي حيرتني طوال حياتي ولا أجد لها إجابة في المعبد.

ـ مثل ماذا؟

من أين أتينا؟، ولماذا جئنا؟ ، وإلى أين نعود؟، من أين جاء هذا العالم؟ ومتى سينتهي ولماذا؟ من خلقنا؟ ولماذا خُلقنا؟

أسئلة كثيرة ليس عند عسمتس رد عليها فيقول:

اها أنت كأنك تفتح موضوعًا طالما أغلقته على نفسي، وضيقت عليها التفكير فيه، فعاقبته خطيرة على الحياة وعقابه القتل من سياف المعبد.

يقول له فاروس:

إن هذا المعبد سبب شقاء تلك الجزيرة، فالناس تجدّ، وتتعب لجلب لقمة العيش وهذا المعبد الشرير يتصنع

الحيل ليأخذ ما زاد على قوتهم، وأحيانًا يأخذ من قوتهم ذاته.

يا عسمتس أتدري موضوع الجرجونات الثلاثة هذا ؟

يرد عسمتس وقد شعر بحقائق تتدفق من داخله، تكسر كل سجون الجهل التي تحيط به وتتصارع مع الموروث الهش فيقول:

ـ إنني أصبحت تائهًا لا أعرف شيئًا.

فاروس يعلم مقدار ثقة عسمتس فيه.

ـ أتصدقني فيما سأخبرك به ؟

يرد عسمتس سريعًا: مما لا شك فيه.

ـ لم أعهد عليك كذبًا، ولا أثق في قول أحد في الجزيرة مثلما أثق في قولك.

فاروس يحكي له ما شاهده بعينيه:

ـ إني رأيت ليلة أمس عويسًا الحبشي يرتدي قناعًا مخيفًا، ويقترب من النوافذ، ويُصدر أصواتًا مرعبة.

يبدو على وجه عسمتس الذهول، فقد فتح عينيه البراقتين، واشتد انتباهه واستدار حتى أصبح وجهه مقابلًا لوجه فاروس تماما.

obeikandl.com

فلم يجرؤ أحد على فتح النافذة والنظر منها ليلًا؛ لأن عقاب ذلك القتل من الكائنات المخيفة المسيطرة على الجزيرة أو من كهنة المعبد لمخالفة أمر الحصان البحري.

لم يكن تمسُّك عسمتس بتعاليم المعبد عن اقتناع، بل كان خشية للعواقب، ومسايرة للناس، فكما يقول المثل:

لو ذهبت بلد ووجدت أهله يعبدون العجل تعلق بذيله.

اقتنع عسمتس تمامًا بما قاله فاروس، وشعر بأن أعماق نفسه متعطشة لإجابات لأسئلة كثيرة راودته أكثر من الأسئلة التي سألها فاروس له، ولكنه لم يكن ليبوح بها لأحد وكأنه كان يداريها عن كل البشر حتى عن نفسه. بكى عسمتس واجهشَّ في البكاء، وانهمرت الدموع من عينيه، وانتابه إحساس بأنه وجد نفسه بعد أن كانت تائهة في تلك الجهالات المسيطرة على الجزيرة، ولكن كيف الخلاص؟

فقد ابتدره الإحباط، فجميع أهل الجزيرة يحملون السيوف الخشبية بأمر من كهنة الحصان البحري الساخر على مر العصور ويحمي الجزيرة، و المعبد بحراسه،

ويحميها خضوعها لفرعون مصر، لكن لحراس فرعون سنوات ما جاءوا الجزيرة.

يـا فـاروس إننـا نحتـاج للعلـم، نحتـاج لإجابـات علـى تلـك الأسـئلة، نحتـاج لمـن يعلمنـا الحقـائق. كـل ذلـك وفـاروس ينصـت إليـه، ويسـمع كلمـات عسـمتس وكأنهـا نـور يسـري في قلبـه، يسـمعها مـع صـوت قطـرات الميـاه على أسـطح المنـازل، وعلى الطريق المؤدي للمعبد الملعون.

يتساءل فاروس: .ولكن أين نجد ذلك العلم ؟

ـ نصـل بـرًّا راقـودة، ومنهـا نتنقـل في القـرى والبلـدان نبحـث عـن أهل العلم حتى نص لمن يعطينا إجابات، لمن يعطينا علمًا.

لمن ينقذنا من الأوحال، لمن يضع أرجلنا على طريق الحق.

فاروس: قدمي على قدمك ويدي في يدك أيها الصديق الحر.

. أنا معك.

. ولو خضنا الصعاب.

. وغصنا أعماق البحار، .وطلعنا أعالي الجبال. .أنا معك.

. لقد تحررنا ، لقد تحررنا.

فيشاركه عسمتس وقد اجهشَّ فى البكاء: .نعم لقد تحررنا.

عسمتس: ومتى نبدأ تلك الرحلة؟

فاروس : . نبدأ غدًا بعد شروق الشمس.

عسـمتس : ـ ولكـن كيـف سـننفق على تلـك الرحلـة التي لا نعلم متى نعود منها ؟

obeikandl.com

فاروس:

ــ نعمل في التجارة ، إذا ذهبنا بلدًا نشتري بضاعة وإذا ذهبنا بلدًا أخرى نبيعها ونربح ونتقوت من ذلك الربح .. كذلك، سأحمل معي شرائح السمك المملحة الكبيرة، فإنها تظل صالحة لنسد بها جوعنا لأشهر طويلة.

عسمتس:

ـ ولكن لا يتوفر لي الآن الكثير من المال.

فاروس:

ـ أنا معي مال، اترك جميع المال الذي عندك لأهل بيتك، ودع النفقة على الرحلة لي، كذلك أخبر أهل بيتك أنهم إذا أرادوا مالًا في غيابك، فليذهبوا إلى ماريا زوجتي ويأخذوا منها، فقد تركت لها الكثير من المال.

عسمتس وكله حماس:

ـ بأي مدينة نبدأ؟

ـ نبدأ بقرية راقودة فهي على مقربة ألف ذراع من الجزيرة، فإنها ليست بعيدة، ومنها ننطلق إلى بر مصر كله فمصر بلد العلم.

عسمتس وهو فى حالة صحوة كأنه أفاق من غفوة:

ما أروعك من رجل!

obeikandl.com

ما أروعك من رجل!

اتفقنا. غدًا ألقاك.

التف عسمتس في ردائه الصوفي، ورفع قطعة الجلد أعلى رأسه، وسار مسرعًا إلى بيته المقابل لبيت فاروس فالأمطار لا تتوقف.

ودخل فاروس منزله سعيدًا بأن استطاع أن يخرج رجلًا من أهل الجزيرة من ظلمات الجهل والخرافة التي تسيطر على المساكين أهل الجزيرة إلى بحبوحة البحث عن الحق،

وأي رجل؟!

إنه أعز أصحابه: عسمتس، ولكن سرعان ما أحاط بتلك السعادة إحساس بالشفقة على زوجته ماريا، فإنه ينوي البحث عن الحق وهي ما زالت متعصبة لأفكارها.

ينتابه إحساس بالشفقة على أبنائه، وعلى أهل الجزيرة جميعًا.

فكر فاروس في أمر ماريا، وكيف سيناقشها في أمر المعبد وهي بذلك التعصب. توصل فاروس بعد تفكير عميق إلى أن يخبرها أنه مسافر؛ ليعمل في التجارة، فتلك الفكرة على الرغم من الفراق والشوق، والحنين والأنين الذي ستجلبه،

لكنها أهون من الصدام العقائدي الذي يُتوقع حدوثه بين ماريا وبينه، وقد يؤدي لمشاكل أسرية هو فى غنى عنها الآن.

بدأ فاروس الحوار بهدوء:

ـ يا ماريا لقد توصلت لحل لمشكلة عدم الصيد هذا الشتاء؛ بسبب ارتفاع الأمواج، وعدم صلاحية البحر للركوب، سأذهب للتجارة.

ردت ماريا:

ـ إن معنا أكثر من أربعمائة دينار، وهذا مبلغ كبير لا يُستهان به، سندفع غدًا العشرة دنانير للمعبد، وما معنا يظل الكثير من الدنانير أيضًا ،

يكفي لأشهر طويلة ، ولو دبرنا حالنا يكفي لسنوات.

. طالما عندنا ما يكفينا لمَ السفر والتعب ؟

فاروس يحاول إقناعها:

ـ نعم لدينا ما يكفينا، لكني لن أجلس في البيت تلك الفترة الطويلة، فقد تصيبني حالة نفسية سيئة فانا أحب العمل.

ماريا:

ـ هل ستشتري بضائع من التجار القادمين إلى الجزيرة من راقودة وتبيع في الجزيرة ؟

. لا.

obeikandl.com

سأذهب أنا، وصديقي عسمتس في رحلة طويلة للتجارة لعدة أشهر، ونعود برأس المال مرة أخرى والأرباح.

- فى ذلك الطقس ؟

ـ نعم هناك أشياء تباع في ذلك الطقس جيدًا، كالصوف وقطع الجلد وغيرها، نجلب من بلد ونبيع في بلد آخر تحتاج لتلك البضائع.

- متى ؟

- غدًا.

فاروس : ـ ساترك لكِ مائتي دينار، وشرائح السمك المملح، وعندك قمح يكفي لأشهر ..

ـ إذا جاء لكِ أحد من بيت عسمتس يريد مالًا فأعطيه ما يريد، فإن رب بيتهم- عسمتس- سيعمل معي وسأخصم ما أخذوه منك من أرباحه في التجارة معي.

- حسنًا.

سنفتقدك يا فاروس كثيرًا.

أجابها:

- وأنا ماريا.

- بأي بلد ستبدأون؟

فاروس:

obeikandl.com

ـ سنبدأ براقودة، سنركب مع أي مراكبي يبحر بنا لراقودة، ثم ننطلق منها لمدن بر مصر، ونعود بالخير. أبشري.

ـ لعلها رحلة خير عليك وعلينا جميعًا.

نام فاروس ليلته في حضن أبنائه الصغار: تيتي، وعوس، وبنته مياسا وأوصى أبناءه عوكلس وحسنس ولاداس، على أمهم، وإخوتهم، فعوكلس على مشارف العشرين ولا يفرق عن حسنس إلا عام، وكذلك حسنس لا يفرق عن لاداس إلا عام.

وفي الصباح ودع الجميع، وحمل معه ما يقرب من مائتي دينار، وحمل عددًا كبيرًا من الشرائح المملحة في السلة المصنوعة من الخوص؛ حتى يتقوت بها في سفره . الجميع عليه علامات الحزن، لكن هذه إرادة فاروس، ويجب على الجميع أن يخضع لها، فهو رب الأسرة والكلمة العليا له.

يخرج فاروس من منزله؛ ليجد عسمتس منتظرًا، يحمل أمتعته، فعسمتس مازال بعلو الهمة التي عهدها عليها فاروس منذ أن كانا صغارًا.

انطلقا حتى وصلا إلى الميناء، وإذ بهما يجدان البحر عاليًا والأمواج تصارع بعضها البعض، لم يجدوا قاربًا من القوارب المخصصة بنقل الناس إلى راقودة، فالأمطار لا

obeikandl.com

تنتهي، والأمـواج عاتيـة، ولكـن آمـالهم وأحلامهـم أيضًـا لـيس لها حدود وتتحدى أي صعاب.

يخاطبـه فـاروس، وقـد تمسـك بالأمـل في أن يجـد مركبًـا أو قاربًا صغيرًا ينقلهم إلى راقودة.

ـ ننتظـر، فقـد يظهـر مركـب يحمـل رجـالًا مـن راقـودة للجزيـرة نركب معه وهو في طريقه للرجوع لراقودة.

وخـلال تأملهمـا في الأمـواج العاتيـة، يظهـر قـارب مـن بعيـد قادم من ناحية راقودة ويحمل رجلين فقط،

وعنـدما اقترب القـارب مـن شـاطئ الميناء، أقبـل عليـه فـاروس وعسـمتس، ينتظـران حتى يـربط الحبـل في الصخرة، ويـدلي بالهلـــب الحديـــدي ذي الـــثلاث شـــعب فـــي الأرض الصخرية؛ليشـبّك بهـا ويسـيطر على القـارب في تلـك الأمـواج التي طغـت على الميناء، الـذي ظـل طـوال الـدهر يـأبى أن يخضـع لهـا .. وبعـد أن انتهى الرجـل مـن ربـط الحبـل، علـم فـاروس وعسـمتس أن هـذا الرجـل العجـوز الطويـل ذا الملامـح الحـادة والوجـه النحيـف، والجسـد النحيـل واللحيـة الطويلـة هو المراكبي، وأن الآخر هو الزبون.

حيـث إن الرجـل الآخـر مـا أن وضـع قدمـه على أرض الجزيـرة إلّا وانطلق يهرول حتى أنهم لم يشاهدا ملامح وجهه.

obeikandl.com

اقترب منه عسمتس، والرجل العجوز لا يبدي أي رد فعل، ولم يترك ما بيده ليرى ماذا يريدان وظل يعمل في صمت.

أقبل عليه عسمتس برأسه، ثم قال:

ـ صباح الخير.

رفع المراكبي رأسه ونظر إليه ورد السلام، ثم أنزل رأسه وظل ينظر" للشكارمو" وهي الخشبة الصغيرة التي في منتصف المركب، التي يُلف عليها الحبل الحريري الذي يربطها " بالمجاديف " والمركبي يفكر في حل ذلك الحبل الحريري؛ ليحل المجاديف.

ـ صباح النور.

وضع عسمتس يده على أمتعته وكأنه يظهر أنه من ذوي المال الكثير، ثم قال:

ـ هل يمكنك أن تصطحبنا معك إلى راقودة ولك الأجرة التي تطلب ؟

المراكبي لا يلتفت إليه، ويظل يتمم على الحبل، ويرد-وهو منحنٍ ناظر للشكارمو-:

ـ لا.

انزعج عسمتس قليلًا ثم قال:

ـ لماذا ؟ ألست من راقودة وستعود إليها ؟

obeikandl.com

فأنا من فاروس وأعرف كل أهلها، وأنت لست من فاروس إذًا أنت من راقودة وستعود.

ـ سنعطيك الأجرة مضاعفة إذا أردت.

يقول عسمتس ذلك وهو محرج، فإن فاروس هو المتكفل بمصاريف الرحلة، لكنه يريد أن يغري المراكبي: ليصطحبهم، فلا يوجد أحد غيره ركب البحر اليوم، ولكن عسمتس يعرف فاروس جيدًا، ومتأكد من أنه لن يمانع لو أُعطي الأجرة مضاعفة.

عندما شعر المراكبي بالإلحاح عند فاروس وصاحبه نظر إليهما وقال:

ــ لأنني لن أبحر اليوم، فسأنتظر للغد لعل الطقس يتحسن، فقد كدت أن أموت مع أن المسافة قصيرة بين الجزيرة وراقودة، لكن الطقس هذا الشتاء لم يحدث في التاريخ مثله.

ـ نعم، الجو هذا الشتاء غريب لم تشهده الجزيرة من قبل.

فاروس يشاركهم الحديث:

ـ هل يمكن أن يأتي مركب آخر اليوم من راقودة ؟

أجابه المراكبي:

ـ هذا يتوقف على أمرين:

obeikandl.com

الأمر الأول، هل يوجد من يريد أن يأتي هنا في ذلك الطقس من الزبائن ؟

عسمتس مقاطعًا:

ـ والأمر الآخر ؟

ـ الأمر الآخر وهو الأصعب، هل يوجد في راقودة مراكبي شجاع مغوار مثلي يبحر في ذلك الطقس؟

غلب على ظن عسمتس أنه لن يركب البحر أحد اليوم لما سمع من المراكبي العجوز.

ـ إذن لن يأتي مراكبي آخر اليوم.

يتكلم فاروس وكله إصرار،

يريد أن يضمن ذلك القارب وذلك المراكبي، فقد لا يجد أي قارب، الطقس يدل على ذلك فيقول له:

ـ هل يمكن أن تبيت معنا اليوم وتبحر بنا صباحًا بعد الشروق ؟

إننا من أهل تلك الجزيرة.

سعد المراكبي بذلك العرض، حيث إنهم من أهل الجزيرة، وسيوفرون كل شيء له، ولكن لا يظهر تلك السعادة ولكنها تظهر على عينيه، فالعيون تبوح بكل ما في القلب ولا تستطيع أن تستره ... ويرد في عفة نفس:

obeikandl.com

ـ كنت سأبيت في قاربي داخل هذا الميناء.

يعلم فاروس مكانًا أفضل من القارب للمبيت فيه، فإن القارب لا يحمي من البرد الشديد ولا الأمطار.

ـ إنني أعرف مكانًا يسعنا جميعًا نبيت فيه تلك الليلة.

يرد المراكبي وهو يظهر الرضا:

ـ لا بأس.

علْمُ عسمتس وفاروس بركوب البحر جعل عسمتس يتداخل في الحوار مظهرًا شيئًا من خبرته في ركوب البحر قائلًا:ـ هل ستترك القارب في الميناء ؟

يجيبه المراكبي بأنه شبك الهلب الحديدي ذا الثلاث شعب المتصل بالحبل الحريري القوي في الصخور، وربط الحبل الحريري في المركب حتى لا يجرف التيار القارب.

إن المراكبي العجوز أكثر خبرة منهما بركوب البحر، وأي شيء يناسب أي جو وكل تلك الأشياء .. ويعلم أن هذه الطريقة لا تناسب ذلك الطقس السيئ، ولكنها تناسب طقسًا أكثر اعتدالًا ... ولكن كبر سنه، وضعف قوته أرغماه على استخدام تلك الطريقة التي قد تجعل القارب في خطر.

يظن عسمتس أن المراكبي قليل الخبرة في ركوب البحر فيقول له:

obeikandl.com

ـ لكن التيار شديد، وقد ينزع الهلب من الصخور، وتستيقظ فلا تجد القارب في مكانه بالميناء ، وقد يجرفه ناحية الصخور، فيظل يتخبط بفعل الأمواج العاتية، وعند شروق الشمس نجده حطامًا.

يظهر المراكبي شيئًا من خبرته على استحياء؛ لأنه سيحتاج مساعدتهم وسيحتاج عضلاتهما المفتولة.

ـ أتفضل أن نسحبه إلى الشاطئ ونخرجه على الرمال أفضل؟

رسم عسمتس الابتسامة على وجهه، تلك الابتسامة التي يفهمها المراكبي ، وكأن عسمتس يريد أن يخبره بها بأنه كان غافل عن ذلك الرأي حتى نبهه إليه، ثم أجابه بنعم.

ينظر إليه المراكبي، ويبتسم ابتسامة أيضًا، لكن لها معنى آخر بداخله، فقد ابتسم رفقة بعقول الشباب، فياليت الشباب يعلمون ويفهمون، وياليت الشيوخ المسنين يقدرون ويستطيعون.

ـ لكن لن أستطيع وحدي سحبه هل ستساعداني ؟

ـ نعم.

تداخل فاروس في الكلام: نعم سنساعدك. المراكبي بدأ في سحب الهلب الحديدي أولًا من المياه، ثم أمسك بمقدمة

obeikandl.com

المركب "البيروا" وهو يقف على الصخرة الصغيرة بجوار الشاطئ مشمر القدمين، وشمر فاروس عن ساقيه، وكذلك عسمتس ووقفا على الشاطئ يسحبان المركب معه حتى صعدا به على الرمال الرمادية.

ـ الآن أصبح في أمان.

ـ نعم، أحسنتما.

وبعد أن مسحوا آثار الرمال التي على أيديهم، ينظر فاروس لذلك العجوز العجيب ويقول له:

عندي سؤال يحيرني أيها المراكبي العجوز.

ـ تفضل.

ـ لماذا تبحر في ذلك الطقس الصعب ؟

أعطاه المراكبي أحد دروس الحياة عندما قال له:

"لأن العمل والكفاح هما سر السعادة ".

هناك أشياء تُكتسب في يوم مثل هذا أفضل من المال، فالمال يجلب الطعام والشراب، ولن يموت أحد جوعًا، لكن يومًا مثل هذا اكتسب المراكبي العجوز فيه أشياء أعز من المال .. إنه يوم أكسبه اعتزازًا بنفسه وفخرًا بجسارته ، فعلى الرغم من أنه كاد أن يموت إلا أنه يعتز بإبحاره في يوم

obeikandl.com

مثل هذا، فجميع البحارة الشباب يهابون أن يخرجوا في مثل هذا اليوم للإبحار، أو يغامروا مثله.

اكتسب المراكبي العجوز ثقته في نفسه، والقدرة على الكفاح والصمود ..

اكتسب إحساسًا بالشرف ..

اكتسب كل ذلك من رحلة لم يظفر بها إلا بالقليل من المال، فإن قاربه يقدر على نقل ستة أفراد، لكنه لم ينقل في ذلك الطقس السيئ إلا رجلاً واحدًا لم يدفع إلا أجرة فرد.

اكتساب القيم أهم من اكتساب المال، معانٍ سامية وقيم أهم من مال ونعم، قف شامخًا، فأنت رجل شريف غني بالقيم، قف شامخًا، فقلبك امتلأ بالجسارة والحكم، قف شامخًا يا من مر عليك الكثير من العجم ..قف شامخًا فإنك تأكلها بكد ولم يعوِّقك ما بك من هرم قف شامخا و عيش شامخا و مت شامخا على الموت مقتحم. سار فاروس وعسمتس، والمراكبي خطوات على الرمال الرمادية وتحت الأمطار المنهمرة، وما أن ظهر له الكوخ من بعيد إلا قال للمراكبي:

ـ ما رأيك لو ننتظر جميعًا في الكوخ المصنوع من الخوص الذي هناك، ويشير فاروس إلى كوخ صغير بجوار بوابة الميناء، بناه المجنون بيطا قبل موته.

نظر المراكبي للكوخ وكأنه أول يوم يراه فيه، فإنه يأتي للجزيرة يوميًّا ويراه، لكنه ما سأل عنه أحدًا من قبل:

ـ لمن هذا الكوخ ؟

يتداخل عسمتس في الحديث:

ـ إنه لرجل مجنون مات منذ عام اسمه بيطا، ظل حياته كلها متجولًا في الجزيرة، حافي القدمين، وقبل موته بعام جمع بواقي الخوص من عند صناع السلال، وصنع ذلك الكوخ.

يُلحق فاروس المراكبي بسلسلة من العروض.

ـ سنشعل راكية من النار.

ومعي شرائح التونة المملحة، نأكل منها حتى الصباح ونبحر غدًا ؟ المراكبي يدقق النظر في وجه فاروس، وفي وجه عسمتس، فلا يجد إلا وجوهًا طيبة، فيوافق فعلى الرغم من أنه مضطر للبقاء إلى الغد على الجزيرة، لكنه لابد أن يطمئن على نفسه أولًا قبل أن يوافق، فلقد رأى في وجههما الصدق .

obeikandl.com

سعد فاروس بموافقة المراكبي؛ لأنه يعلم أنه لن يأتي أحد من المراكبية في مثل ذلك الجو الفظيع، وليس أمامه إلا ذلك المراكبي العجوز، و السبب الأكبر لسعادته أنه لن يعود إلى المنزل، فقد يصاب صديقه عسمتس بالإحباط إذا هما عادا إلى منزلهما، كذلك سعيد أنه سيبيت في ذلك الكوخ الصغير. فإصراره على المبيت في ذلك الكوخ الصغير، هو إصراره على البحث عن الحقيقة، فمن يفكر في شيء ما يظهر ذلك التفكير في أفعاله وسلوكه .. "فالسلوك مرآة الفكر".

سار الثلاثة في بطء، ففاروس يحمل أمتعته، وشرائح الأسماك المملحة، وعسمتس يحمل أمتعته، والمراكبي يحمل المجاديف الخشبية؛ حتى لا تتكسر داخل المركب من الأمواج، فعلى الرغم من كبر سنه إلا أنه رفض أن يحملهما أحد غيره، فرغم ثقل وزنهما إلا أن ذلك لا يظهر عليه وهو يسير بهما، وما أن وصلوا عند باب الكوخ إلا وترك المراكبي المجاديف على الأرض، فارتطما بالأرض وأصدرا صوتًا، ولكن فاروس وعسمتس لم ينزعجا من ذلك الصوت، فإنهما متعودان عليه؛ لعلمهما بالصوت قبل حدوثه، فهما من أهل المهنة ومن أهل ركوب البحر.

obeikandl.com

دخل الثلاثة الكوخ الواحد تلو الآخر وكان آخرهم فاروس؛ ليطمئن أن كل شيء على ما يرام، ووضع فاروس بعض الحجارة على شكل حلقة، وجلسوا حولها، ثم قام عسمتس وأحضر بعض الخشبات الفتات المتبقية من قارب قديم، ووضعها داخل الحلقة، وأمسك فاروس بحجرين أملسين وطرقهما طرقًا شديدًا حتى خرجت منهما شرارة أشعلت الأخشاب وشعر الجميع بالدفء.

الجميع صامت داخل الكوخ.

المراكبي ينظر لكل حركة منهما ويرى فيها تصرفًا طبيعيًّا ..

وفاروس يحك يديه على فخذيه حتى يشعر بالدفء،

ويفكر في ذلك البحر المتغير من حال لحال كفعل الزمان.

بدأ عسمتس بالكلام داخل الكوخ :

كيف حالك أيها المراكبي العجوز؟ أعرفك بنفسي، أنا عسمتس، وهذا صديقي فاروس.

ـ تشرفت بكم. وأنا ياريس.

ـ الشرف لنا.

عسمتس مخاطبًا المراكبي:

. كم عمرك أيها المراكبي؟ إني أراك بلغت من الكِبر عتيًّا.

يجيبه المراكبي:

obeikandl.com

. لن تصدق.

ـ سأصدقك، فإنك رجل كبير، مرت عليك الكثير من تجارب الحياة، ولم يُعهد على رجل مثلك كذب.

يجيبه المراكبي وكله اعتزاز بنفسه:

. مائة عام. قضيت تسعين منها في البحر.

استغرب فاروس من قوله، فإنه له مائة عام ويبدو أقل من ذلك، كذلك يركب البحر منذ زمن طويل، وهذا أشد غرابة، فلا يوجد أحد على وجه الأرض له تلك الخبرة الكبيرة في البحر.

. إذن أنت تركب البحر وعمرك عشر سنوات ؟

ـ نعم. إننا قديمًا نركب البحر في عمر التاسعة، فكل رجل في راقودة يأخذ معه ابنه؛ ليعلمه فنون الصيد أو مهارات ركوب البحر. إنما الآن الصبي لا ينزل البحر قبل الخامسة عشرة، ويظل في بيت أبيه يأكل ويشرب ويتعلم في المعابد، فكل زمان وله أوضاعه.

يقول فاروس:

ـ هذا صحيح، ولكن بالنسة لي الأمر مختلف، فقد ركبت البحر وأنا في الثانية عشرة من عمري.

. أحسنت.

obeikandl.com

نظر فاروس لعسمتس، ولم يتكلم حتى يفهم عسمتس أنه يريده أن يخرج شريحة سمك مملح، لكن عسمتس لم يفهم تلك النظرة فقال له فاروس:

. يا عسمتس أخرج لنا شريحة سمك مملحة لنأكل.

المراكبي يخاطب نفسه: نأكل ثلاثة أفراد بشريحة سمك مملحة؟ لقد طلع نجمي اليوم على نحس ووقعت مع رجلين بخيلين.

عسمتس وضع يده في الأمتعة المخصصة بفاروس، وأخرج الشريحة التي طولها ذراع .

تعجب المراكبي من حجم تلك الشريحة. إنها تكفي خمسة أفراد؛ لأنها مملحة، فمع الخبز ما أروعها!

تغيرت صورة فاروس وصديقه في عينه، وعلم أنه سيقضي يومًا وليلة وهو شبعان البطن.

المراكبي منشرح الصدر، فقد ضمن قوت يومه هذا فبدأ في فتح موضوع:

. ما سبب سفركم لراقودة في ذلك الطقس السيئ؟

. التجارة .

. نعم فلابد من السعي من أجل لقمة العيش.

في أي شيء تتاجرون ؟

obeikandl.com

تـداخل عسـمتس في الحـوار فـإنهم لـم يحـددوا شـيئًا إلى الآن، فأراد أن يخرج فاروس من ذلك المأزق ولا يسبب له حرجًا.

. إننا نتاجر في بلح البحر.

هـز المراكبي رأسـه، وتـذكر، كـم أكـل مـن ذلـك المحـار عنـدما كـان يغـوص ويخرجـه، فقـد مـرت عليـه معظـم حـرف الصيادين فقال:

ـ اهـا إنـه محـار لذيـذ، لكنـه غـالي الـثمن جـدًّا، ولا يأكلـه إلا أهل الثراء والترف.

يكمل فاروس ما قاله عسمتس فيقول:

ـ ولكننـا لـم نشـترِ مـن الجزيـرة بلـح البحـر؛ لأن الجـو كمـا تشـاهد، ولـم يخـرج أحـد لصـيده، وسـنذهب بأموالنـا إلى راقودة ونشتري منها بضاعة نبيعها في مدينة أخرى؛

لنحقـق شـيئًا مـن الـربح يعـوض علينـا عـدم ركـوب البحـر هـذا الشتاء.

أصـوات الأمطـار وهـي تصـطدم بـالكوخ لا تتوقـف، وصـوت عواصـف شـديدة والشـمس قاربـت على الغـروب والوقـت يمـر سريعًا مع الصحبة والحديث.

سـمع المراكبي ارتفـاع أصـوات الأمطـار المنهمـرة، فـأراد إظهـار شيء من خبرته في معرفة الرياح والطقس، فيقول:

obeikandl.com

ـ اليوم أول نوأة الحسوم، تستمر ثمانية أيام، وتمر خلالها سبع ليالٍ.

قال فاروس:

ـ اها نعم. نحن في آخر شهر طوبة، وهي تأتي في هذا التوقيت كل عام، فالأيام تمر سريعًا لكنها تعود مرة أخرى حاملة آمالًا جديدة للبشر.

انتبه فاروس لنوأة الحسوم؛ لأنها عندما تأتي كل عام لابد من دفع عشرة دنانير عن كل بيت في الجزيرة لمعبد الحصان البحري الساخر... لكنه ترك لزوجته ما يكفي لأكثر من عام من المال، فما يزعجه إلا سطوة حراس المعبد وبطشهم في تحصيل تلك الأموال من الناس. لم يعد عند فاروس أدنى شك من أن تلك الأموال تُجمع؛ ليكتنزها عيطا ومن في المعبد ويوهمون الناس أنهم سيقدمون تلك الأموال كهدايا للجن في ذلك العرس المشهود.

فإن معبد الحصان البحري قد مكن لتلك الخرافة في أذهانهم بأن في تلك النوأة تقام أفراح الجن. نعم تُزف جميع عرائس الجن إلى أزواجهن في تلك النوأة، ويحدث نسب بين جن المغرب وجن المشرق،

وجميع أهل الجزيرة يسمعون ذلك العرس .. فإن أصواتهم كصوت القطط، ولا يستطيع أحد أن يراهم؛ لأنهم يمرون ليلًالا يخرج أحد ليلاً في الجزيرة.

ظل فاروس يحكي، ويتسامر مع المراكبي وصديقه عسمتس .... وأثناء حديث الذكريات عن الجزيرة وعن راقودة،

فاروس منتبه لأمر زواج الجن، وذلك العرس الذي يمر بالجزيرة كل عام فإنه يعتقد بوجود الجن، لكنه يشك في أمر العرس الذي يمر بجوار الجزيرة، ويُقدم له الدنانير الكثيرة من أهل الجزيرة، فإنها إحدى حيل وألاعيب عيطا ومن سبقه من الكهنة؛ لأخذ أموال البسطاء.

وما إن انتهى الكلام. جلس كل واحد من الثلاثة بمفرده، فجلس المراكبي يربط قطعة حبل كان قد أخذها معه من المركب؛ ليصلحها حتى يستفيد منها في المركب .. واستلقى عسمتس على ظهره ونام ... وجلس فاروس يفكر ويتعجب من تلك الخرافات، وتلك السطوة التي سيطر بها كهنة معبد الحصان على الجزيرة وفجأة يسمع صوت قطط كثيرة!

يشعر فاروس بحالة من انعدام الوزن والتيه ... ويضيع عندما يسمع الصوت، ويجد فاروس نفسه عندما ينعدم

obeikandl.com

ذلك الصوت .. ثم يسمع الصوت مرة أخرى .. فاروس ينظر للمراكبي ولعسمتس، يجد عسمتس قد غرق في نوم عميق، فينظر للمراكبي، ويسأله عن الصوت.

المراكبي يجيب وهو ينظر إلى قطعة الحبل وهو منهمك في إصلاحها، فقد جعلها ثلاث ضفائر، وبدأ في عقدها مرة أخرى:

. نعم إنه صوت عرس الجن.

يحدث صراع داخلي عند فاروس بين ما يسمعه بأذنه من صوت قطط، وبين تيقنه من عدم وجود شيء من ذلك العرس المزعوم، وما أن سمع ذلك من المراكبي إلا وخرج من الكوخ، ووقف على بابه ينظر ناحية شاطئ الميناء:

ـ ماذا تفعل يا مجنون، فقد تُصاب بالعمى. ادخل فورًا وأغلق الباب.

ما هذا الرجل المجنون؟ - المراكبي يحدث نفسه -. الرياح العاصفة تفعل مقاومة مع الباب، فهو لا يستطيع أن يقفل الباب مرة أخرى من شدة الرياح والعواصف والأمطار...

فجميع تلك العوامل تقف دون رجوع الباب مثلما كان، لكن فاروس يقاوم الرياح، ويسحب الباب بقوة، ثم يغلقه..

ولكنه ظل بالخارج، وأغلق الباب بالبرميل الخشبي القديم من الخارج كما وجده عندما جاءوا للكوخ .

أعطى ظهره للكوخ ووجهه للشاطئ، ولم يكتف بذلك بل يتقدم ثلاث خطوات حتى يصبح على الربوة المرتفعة فيشاهد البحر مشاهدة تامة، فهو ينظر إلى البحر في ظلامه الدامس .. إنه يريد أن ينهي أساطير الجزيرة للأبد، فيسمع الأصوات مرة أخرى.

إنها أصوات قطط.

نعم أصوات قطط. ولم يحرك رأسه ناحية مصدرها، ما هذا ؟، أهذا فعلًا العرس أم هي حيلة ماكرة من عويس خادم عيطا ؟

لا توجد مشكله فقد يكون العرس صحيحًا، لكن عيطا يستغله ولا يقدم شيئًا للجن.

قد يكون هناك شيء صحيح فيما يقوله عيطا، ولكنه لا يتعدى إلا مقدار سمكة سردين في بحر الروم.

كل هذه حوارات داخلية تدور بخلد فاروس.

بعد قليل: سمع أصوات القطط مرة أخرى، ولكنه انتبه تلك المرة والصوت لازال مستمرًا.. انتبه فاروس إلى أن

obeikandl.com

الصوت لم يأتِ من ناحية البحر، فنظر ناحية البحر فلم يجد شيئًا.

فظل ينظر ناحية البحر، فإذا به يسمع الأصوات ولا يشاهد أي شيء في البحر، ولكن الأصوات من ناحية القلعة المهجورة. نظر فاروس ناحية مصدر الصوت وتيقن أنه من القلعة المهجورة!

ظل يسير، ويسير ناحية الأصوات حتى وصل للقلعة المهجورة، ووقف بجانب سورها المتهالك المتهدم وهو يتصنت، و يتسمع، وإذ به يسمع الأصوات!

فلم يتمالك نفسه، فهو في حالة نفسية يسيطر عليها التوتر، فصعد على السور ونظر.

تبسم فاروس، وزالت تلك الحالة، والتوتر الذي حل به بعدما رأى مصدر الصوت. فلقد وجد جميع قطط الجزيرة مجتمعة في كهف الجزيرة المهجور حتى تحتمي من المياه، فإن مياه الأمواج لا تصل للقلعة إلا في تلك النوأة؛ لأنها تأتي شديدة كل عام على الجزيرة، وليس للقطط مخبأ تحتمي به من الأمطار، والعواصف إلا تلك القلعة المهجورة فعندما تصل الأموج الشديدة للقلعة المهجورة يجتمعون جميعًا داخل الكهف، ويتصارعون فيصدرون تلك

obeikandl.com

الأصوات العالية حيث إن الكهف يكون كبوق يجمع الأصوات ويكبرها.

سعد فاروس؛ لأنه وجد تفسيرًا لما يدور من حوله. إنه وجد تحليلًا لكل الدجل والخرافات، ولطرق التحايل على أهل الجزيرة فقد كانت أكبر خرافة يستغلها كهنة المعبد ويجمعون على أثرها الأموال.

نزل فاروس من على السور، وسار بخطى واثقة على الصخر الذي بين القلعة المهجورة والميناء، وهو يفخر بما وصل إليه من الاكتشافات وهو لا يلقي للأمطار التي تنهمر عليه بالًا، وما أن وصل إلى باب الكوخ إلا وأزاح البرميل الخشبي، وفتح الباب ونادى على صاحبيه، عسمتس والمراكبي بصوت مرتفع وهو يقف على باب الكوخ قائلًا:

العرس وهْمٌ.. والهدايا وهْمٌ، وتعاليم المعبد وهْمٌ، الجميع يعيش في وهْم، البحث عن الحقيقة، البحث عن الطريقة.

البحث عن الذات، يستيقظ عسمتس على الصوت ولا يدري لماذا يرفع فاروس صوته، ولا ماذا يقول، ولكنه استشعر أن فاروس في حالة انفعالية جيدة تتجلى فيها الحقائق، فقد استيقظ على قوله:

البحث عن الحقيقة.

obeikandl.com

البحث عن الطريقة.

البحث عن الذات. يسعد كثيرًا عسمتس بما سمع، لكنه يعود للنوم، فقد عاش تلك الحالة من قبل حالة الإحساس بالحرية من الخرافات.

لم يجد فاروس أمامه إلا المراكبي.

يقف المراكبي وهو في حالة ذهول مما يقوله فاروس، فإنه قابل في حياته الكثيرين لم يرَ في حياته مثل فاروس، إنهم قليلون، قليلون من يحملون هموم شعبهم، أما السفهاء فلا تكترث بهم، قليلون من يخاطرون من أجل غيرهم، أما الجبناء فلا يشعرون بمقدار شرهم، قليلون من يحملون آلامًا فوق آلامهم، الحمل ثقيل والناس معادن ويندر مثلهم.

قليلون من يواجهون من يخشى الناس شرهم.

المواجهة صعبة فأين أصحاب الهمم قليلون من يستطيعون أن يحطموا أوهامهم، العلم نور فحقق واهتم، قليلون من يضحون من أجل آرائهم.

فثباتهم على المبدأ فخر لهم. كثيرون مدعون ملفقون ملتوون متلونون، كثيرون من لا يفكرون، كثيرون يلعبون ويمرحون، كثيرون يتيهون في التيهن ضائعون،ينتظرون الغروب، انتبه فاروس لانفعاله وللرجل المجهول الذي

obeikandi.com

يسكن معهم تلك الليلة، ذلك المراكبي العجوز، فلا يعلم فاروس أي شيء عنه غير أنه مراكبي من راقودة، وله باع في ركوب البحر، ولم يفهم فاروس معنى ذلك الذهول الذي انطبع على وجهه، فدخل الكوخ وجلس على الأرض بجانب النار المشتعلة هو في غاية السعادة والأمل.

وما إن رآه العجوز جلس إلا وجلس بجانبه وكأنه يريد أن يستفسر عن شيء، وأحس ذلك فاروس منه فإنه يراقب تصرفاته البطيئة سهلة المراقبة.

قال المراكبي:

ـ كيف تكون من تلك الجزيرة ولا تؤمن بما يقوله معبد الحصان البحري؟

سعد فاروس بذلك السؤال الجدلي؛ لأنه متشوق للجدال وهو في تلك الحالة.

. هل تؤمن أنت بما يقوله ؟

للمراكبي مبرر على عدم الإيمان بالحصان البحري الساخر، فإنه ليس من فاروس،

فيجيبه وفي عينه إعجاب دفين بفاروس وأفكاره، لكنه يريد أن يجادل مع فاروس؛ ليعلم مدى عقله وتفكيره:

ـ أنا ليس واجبًا مني أن أؤمن بما يقوله الحصان البحري الساخر، فأنا من راقودة ومطلوب مني أن أؤمن بعجل أبيس فقط أو أخضع لآمون أو أعبد فرعون؟

يريد فاروس أن يوصل له فكرة أن الحق واحد، لكن الباطل متعدد فقال له:

ـ ولو تعارض ما يقوله الحصان البحري مع ما يقوله عجل أبيس، أو تعارض القولان مع قول ثالث، وهذا يحدث كثيرًا. مع من الباطل ومع من الحق ؟

فمن تتبع ؟ تتبع ما تؤمن به أم تتبع الحق الذي يطابق الواقع مصحوبًا بدليل؟

المراكبي العجوز يشعر بأنه كان الأولى عليه البدء ببيان ذلك لفاروس وصديقه، لكن كثرة الصدامات مع الناس وغبائهم جعله يسير مع التيار ويبطن ما يعتقد بداخله والآن وجد ضالته فقال:

ـ يا فاروس إني رجل أوشكت أن أفارق الحياة، وظللت محتفظًا باعتقادي لنفسي؛ لأني علمت الحقيقة وأنا رجل كبير أوشك على المائة عام ولا أقوى على مواجهة جميع الناس وظللت منتظر البطل المغوار الذي فيه صفات القادة

العظام، فأخبره بالحقائق، وأضع على عاتقه آمالي في إنقاذ الناس من الخرافات وأعلق في عنقه مسئولية تحرير شعبه.

إني ظللت طوال عمري أفعل ما يفعله الناس في راقودة ؛ لأني كنت صيادًا، فلما غيرت المهنة لكبر سني، وعدم مقدرتي على رمي الشباك وسحبها- فالسن له أحكام- غيرتها إلى نقل الناس في قاربي الذي شاهدته صباحًا، وظللت أتنقل بقاربي هذا بين البلاد والقرى التي على بحر الروم، لم يكن يركب معي إلا رجال يعملون بالتجارة أو رجال يطلبون العلم، فكنت كلما نقلت رجالًا يطلبون العلم أجلس بجانبهم وأتسمع لما يقولون،

ولما يثيرون من أبحاث عقائدية وقضايا إيمانية، فكنت أفكر كثيرًا فيما يقولون ،

كانوا يتكلمون في أمور لم تشغل تفكيري طوال حياتي، فكنت أبحث عن لقمة العيش فقط، وأقوم بما يقوم به الناس بغير بحث أو تدقيق أو تفكير، ولكن مع الكبر وبعدما جاوزت الثمانين بدأت أشعر بأني راحل، وأنتبه لما يقولون.

كانوا يتكلمون عن:

كيف جئنا إلى الدنيا ؟

وإلى أين نذهب ؟

obeikandl.com

من أوجدنا ؟

من أوجد ذلك العالم الذي نعيش فيه ؟

لماذا جئنا إلى تلك الحياة ؟

وكنت أسمع آراءً وآراء وأحلل كل تلك الآراء .

ولكن خلاصة ما خرجت به في تلك الحياة، أن للكون خالقًا حكيمًا قديرًا. إنه الله .

ذرفت عينا فاروس بالدموع، ثم قال: الله، وظل يرددها:

الله الله الله.

ـ أكاد أتذكر هذا الاسم اها. تذكرت إنه إله العزيز يوسف وإخوته وآبائه، إنه إله ذلك الملك الصالح، وقد آمن بما يعتقد به بعض المصريين، لقد قابلت رجلًا من أحفاد أحفاد يوسف ذات مرة في راقودة وأنا صغير، وحكى لي بعض الشيء عن عشيرته بني إسرائيل.

أراد المراكبي أن يثبت لفاروس الدليل على ما يؤمن به فقال:

ـ الصنعة لابد لها من صانع، والصانع للكون رب رحيم. إنه الله الإله الرب، الخالق المبدع الحكيم.

ـ أكمل أيها الرجل الحكيم فإني أشعر بنور كلامك يسري في فؤادي.

obeikandl.com

المراكبي تنتابه حالة حماسية، ويرتفع صوته فيقول: ـ إن الله هو إله الخلق جميعًا، وهو الذي أرسل جميع الأنبياء والمرسلين، وهو الذي خلق السموات والأرض، وجميع المخلوقات من جبال وشجر وحيوانات وأسماك.

فاروس يستفسر وقد انتشر نور الإيمان في جميع أنحاء قلبه:

. وكيف عرفه الناس ؟

المراكبي

يجيب وقد تملكته قشعريرة وهو يتحدث عن الله:

. يا فاروس

إن أنبياء الله كانوا أشد الناس بلاءً، و أشدهم تحملًا للشدائد وللفقر والجوع ، فقد جاءوا بالخير والرحمات للبشرية، ودعوتها لنور الإيمان بالله. لم يأخذوا على ذلك أجرًا ومعظمهم قُتل من أجل تلك الدعوة الكريمة.

معظمهم قُتل من أجل كلمة التوحيد.

معظمهم قُتل من أجل قول لا إله إلا الله.

فاروس :ما أعظم كلامك! أشعر بالحق فيه، فقد دخل إلى قلبي وأنار جوانبه. إني متعطش لما تقول. أشعر أنني خاوي الجوف. وماذا عن بدء الخليقة ؟

obeikandl.com

قال له المراكبي متأسفًا:

ـ ولكني لم أعرف غير ما أخبرتك به، وذلك خلاصة ما تعلمته في حياتي، فأنا الآن أتممت المائة عام ولا أستطيع أن أتحمل متاعب السفر لطلب العلم بحثًا عن أهل العلم، عن الله.

سأله فاروس: وأين أجد من يعلمني عنه شيئًا

أجابه: ـ الذي سمعته من طلبة العلم: أن أهل العلم عن الله في إقليم جاسان، ولكن السفر إلى هناك يأخذ وقتًا طويلًا، فقد تأخذ الرحلة من راقودة إلى هناك في ذلك الطقس السيئ عشرة أيام سيرًا على الأقدام، يتخللها ركوب مركب في النيل.

وضع المراكبي يده على كتف فاروس، وهو ينظر إليه وقال:

ـ يا بني إني أرى فيك البطولة والشهامة والنخوة والجسارة. اذهب وتعلم.

أخذ فاروس يد المراكبي وقبَّلها، وقال:

ـ سأفعل أيها الحكيم، فالسبب الحقيقي لرحلتنا هذه هو طلب العلم، وليس التجارة كما ذكرنا لك، فالدافع الرئيسي للرحلة والذي خرجنا من أجله هو البحث عن الحق .

. الله معك يا فاروس فيما تفعل. بارك الله فيك.

obeikandl.com

ارتدَّ المراكبي إلى الوراء حتى استقر بظهره على حائط الكوخ المصنوع من الخوص، جلس قليلًا، ثم بدأ في التجهيز للنوم.

فإنه رجل حكيم، وقد أعطى لفاروس ما يستطيع إعطاءه إياه من علم، فانسحب بحكمة في الوقت المناسب، وترك فاروس يتفاعل مع نفسه .

تخير فاروس مكانًا نظيفًا في الكوخ القديم، وفرش على الأرض رداءً من أمتعته، واستلقى على ظهره، وهو ينظر إلى الحكيم وهو يجهز أيضًا مكانًا؛ لينام فيه وهو صامت ويتحرك حركة بطيئة، وفاروس ينظر إليه ويقول في نفسه: ما أعظمه من رجل حكيم عاقل ، يكافح في الحياة من أجل لقمة العيش !

ظل تلك الليلة يفكر في الله.

ذلك الإله العظيم الذي خلق الناس جميعًا، وخلق السموات والأرض.

إنه الإله الذي طالما بحث عنه طويلًا.

الإله الذي كان يشعر به.

نظر فاروس إلى عسمتس وإلى المراكبي العجوز، وجدهما قد غرقا في نوم عميق.

فغمض عينيه الحالمتين، ونام وبعد شروق الشمس، يسمع صوت المراكبي:

استيقظ يا فاروس.

يفتح فاروس عينيه اللتين لم تهنآ بالنوم، فيجد المراكبي قد وقف وحمل حبله، وقد هدأت الرياح لكن الأمطار مستمرة، ولكن أهم شيء هدوء الرياح، فقد يستطيعون أن يعبروا إلى راقودة اليوم، ينظر فاروس إلى عسمتس يجده مازال غارقًا في النوم. لم ينم أحد منهم ليلة أمس مثله.

فاروس متعجبًا من نوم عسمتس العميق:

. عسمتس هيا استيقظ.

عسمتس وهو نائم:

. نعم نعم أأشرقت الشمس؟

. نعم هيا.

يحمل فاروس أمتعته ويحمل الشرائح، ويخرج على باب الكوخ ..

يجد المراكبي يحمل المجاديف الخشبية، فيساعده في حملها، فيشكره المراكبي. يخرج عسمتس من الكوخ حاملًا أمتعته ويسير ببطء، ويميل يسارًا ويمينًا فينظر إليه فاروس، ويلاحظ ذلك فيخاطبه قائلًا:

obeikandi.com

. مالك يا عسمتس ؟

. لم أشبع من النوم.

. مع أنك نمت طويلًا.

ينظر فاروس إلى حركة عسمتس البطيئة وإلى ترنحه، فيقول له:

. هل شربت أمس الخمر ؟

ـ نعم إنني إذا دخلت مكانًا غريبًا أشعر بنشوة ورغبة في احتساء الخمر.

غضب فاروس وقال له:

. إن الخمر تذهب المروءة.

لم يجد عسمتس تبريرًا يرد به على فاروس، فبحث عن تبرير فلم يجد إلا مسألة البرودة الشديدة للطقس، فقال:

. تعينني على تحمل البرودة.

. اغسل وجهك، وانتبه لحالك، فلقد اقتربنا من القارب.

يغسل عسمتس وجهه، ويجيب فاروس وهو يضع الماء على وجهه:

. لا بأس.

شمر المراكبي عن ساقيه، وسحب القارب وحده، فتنزيل القارب بلاشك أسهل من إخراجه من المياه، ينظر فاروس

obeikandl.com

إلى ذلك الرجل العجوز الذي غارت رجلاه في الرمال الرمادية، ويمسك القارب بذراعه الذي مازال به بعض القوة لكن السر في إصراره وصموده ليس في قوة ذراعه فقط، ولكن تمسكه بمبادئ سامية.

ولكن فاروس يقدم قدمه ويثبتها في الرمال جيدًا، ثم يضغط بكلتا يديه على مؤخرة القارب حتى يساعد المراكبي العجوز، فيتحرك القارب على الرمال أسرع، فيد على يد تساعد.

وما إن نزل القارب إلى الماء إلا وصعد العجوز عليه، ومن بعده عسمتس، ووضع عسمتس الأمتعة، ثم أخذ من فاروس الشرائح وأمتعته، ثم صعد فاروس بعدما اطمأن أن القارب يسير على ما يرام.

ركبوا القارب، وساربهم فوق الأمواج، فاروس يجلس على "البيروا" مقدمة القارب..

والمراكبي يركب على "الكيوارتا "مؤخرة المركب ممسكًا بالدفة التي تحرك القارب يمينًا ويسارًا ..

وعسمتس يجلس في وسط القارب، يخرج زجاجة الخمر في خلسة من نظرات صديقه فاروس، ويحتسي رشفة، ثم يعيدها في الأمتعة التي يحملها ويضعها بجانبه على أرضية

obeikandl.com

القارب الخشبية وهو في غاية السعادة، حيث إنه يفعل ما يسعده وهو شرب الخمر، ولا يغضب منه صديقه العزيز فاروس بمعرفته بذلك.

أما فاروس غاب في أعماق نفسه، يستخرج الجوع والتعطش والحرمان من العلم وهو يتأمل في شعاع الشمس الذي خرج من بين سحابتين ، ينظر إلى السماء الممتلئة بالسحب الكثيفة.

فجلوسه على مقدمة المركب ووجهه للبحر وظهره لعسمتس وللمراكبي، جعله لا يرى شيئًا إلا السماء والبحر،

ينظر للأمواج المتتابعة التي تسير معهم ناحية راقودة وكأنها طلبة علم مثله يتوافدون ويتوافدون على راقودة طالبين لأهل العلم عن الله في جاسان.

ولكن العظماء ليسوا كالأمواج الكثيرة التي تتابع. ثم ما أن تصل إلى الشاطئ لا تكون شيئًا. إنما العظماء كالصخر العظيم الصامد صمود الجبال الشامخة .

وما إن وصل القارب إلى ميناء راقودة، إلا ونزل فاروس بأمتعته والشرائح، ونزل عسمتس يحمل أمتعته وهو يترنح قليلًا، لكنه يعرف كيف يتعامل مع شئون الحياة في تلك الحالة دون أن يشعر به أحد.

أخـرج فـاروس بعـض الـدنانير مـن الجـراب الجلـد المعلـق بالحزام الجلدي الذي يحيط بخاصرته،

وأعطى المراكبي الحكـيم ظنًّـا منـه أن المراكبي سـيفرح، لكـن المراكبي غضب، ورفض أن يأخذ الدنانير.

تعجـب فـاروس مـن الموقـف وكـذلك عسـمتس، ولكـن كـلا التعجبـين مختلفـان، فتعجُّـب فـاروس نـاجم عـن أنـه عـرف أن هـذه شـيمة مـن شـيم معلمـه الأول المراكبـي الحكـيم، ومنقبة من مناقبه تحسب له ويتعلم منها فاروس الكثير.

أمـا تعجُّـب عسـمتس فنـاتج عـن سـوء ظـن بـالمراكبي، حيـث إنـه يظـن أن المراكبي العجـوز يريـد أن يأخـذ دنـانير أخـرى مـع أن الرحلة يكفيها دينار واحد وهو زيادة .

نظر المراكبي لفاروس نظرة أبوية وقال له:

. يا فاروس هذا أقل شيء أقدمه لك.

ـ يـا فـاروس إنـك إنسـان طيـب، وسـيكون لـك شـأن، واعتبـر أن أجرة المركب مساهمة مني في رحلة طلبكم للعلم.

طربـت آذان فـاروس بتلـك الكلمـات مـن معلمـه الزاهـد، لكـن كرمه أبى إلا أن يترك الدنانير للمراكبي،

فتركها له على القارب وقال له:

obeikandl.com

ـ إنك أبي الروحي، ولابد أن تأخذ من ابنك شيئًا؛ ليرضى عنه الله، فإن أبي مات وأنا لم أتم الخمسة عشر عامًا وأنت أبي بعد أبي.

لحظات جميلة، لا تُنسى تلك اللحظات التي يكون الصدق والإيثار غالبًا عليها.

اكتساب المعاني السامية أفضل من اكتساب المال.

نظر فاروس نظرة تأمل لجمال راقودة، فقد زارها قديمًا مع والده، ويتذكر سوقها الكبير وأشجار النخيل التي تحيط براقودة، وأشجار التين التي تمتد عبر الصحراء الغربية لها ..

إن فاروس في أسعد حالاته، لكن عسمتس في حيرة واستغراب، فهو ينظر نفس النظرة لكن يفكر فيما سمع من حوار بين فاروس وبين المراكبي !

إن عسمتس لا يعلم لماذا أعطى فاروس تلك الدنانير الكثيرة لذلك المراكبي، وكذلك لا يعلم من هو الله الذي طلب فاروس رضاه.

سار الرجلان المجاهدان الباحثان عن الحق في برد قارس وأمطار لا تتوقف.

فاروس يحدث نفسه: إن الأمطار لم تتوقف منذ أيام. إن في ذلك الطقس شيئًا عجيبًا وغريبًا لم يحدث من قبل.

obeikandl.com

عسمتس تنتابه أسئلة حول علاقة فاروس بالمراكبي التي لا يعلم سرها.

قُرب عسمتس من فاروس دفعه للسؤال عن هذا التقدير الزائد للمراكبي.

يستفسر عسمتس من فاروس عن تلك الدنانير الكثيرة التي أعطاها للمراكبي قائلًا:

ـ ألا ترى أن عشرة دنانير كثيرة على مثل تلك المسافة الصغيرة ؟

. نعم.كثيرة لكنها ليست كثيرة على هذا المراكبي الحكيم.

عسمتس يستفسر عن تلك الحكمة ؟

ـ إننا جلسنا معه ليلة واحدة فكيف استشعرت تلك الحكمة؟

فاروس يجيبه في سكينة:

ـ يا عسمتس إن هذا الرجل كفر بكل خرافة في جزيرتنا وفي راقودة وفي مصر كلها،

وأعطاني خلاصة تجربته وبحثه في الحياة.

إنه وضع قدمي على طريق الحق. إنه وضع قدمي على طريق الله.

عسمتس متعجبًا: . متى ذلك وأنا لم أفارقكم ؟

obeikandl.com

أجابه فاروس بلهجة شديدة بعض الشيء فيها شيء من التأنيب:

. ليلة أمس أثناء ما كنت نائمًا ولم تستطع أن تستيقظ من شدة الثمل، فلقد تأكدت أمس أن عرس الجن في نوة الحسوم خرافة كبيرة.

. أنا أعلم أنه خرافة ومن حيل عيطا الخبيث.

طريق الله ؟

أي طريق تقصد ؟

أجابه فاروس:

. إنه الطريق إلى الحق، إنه الطريق إلى خالق الكون.

عسمتس:

. وكيف عرفت أن للكون خالقًا ؟

أجابه فاروس بتلك الحجة التي جعلته يؤمن بالله ذي الجلال والإكرام:

رجع فاروس للخلف خطوتين وأشار بيده إلى أشجار النخيل وإلى البحر قائلًا:

. أيها الصديق العزيز:

الصنعة تدل على الصانع. ألا تدل تلك البحار والجبال والأشجار على صانع حكيم بديع؟

obeikandl.com

فرد عسمتس مجادلًا:

لـو فرضـت جـدلًا أن للكـون خالقًـا، فكيـف عرفـت أن ذلـك الإله هو الخالق ؟

أجابه فاروس:

ــ إن الله أرسـل رسـلًا إلـى النـاس؛ ليعلمـوهم تعـاليم الله، وليخبـروهم بأنـه خـالق السـموات والأرض، وهـؤلاء الرسـل كـانوا أكثـر النـاس فقـرًا وابـتلاءً وتحمـلًا للشـدائد، ولـم يأخـذوا على ذلك أجرًا، ومعظمهم قُتل من أجل دعوة الحق تلك.

معظمهم قُتل من أجل قول لا إله إلا الله.

استدرك فاروس قائلًا:

إنه الله الذي خلق السماء والأرض.

عسـمتس يسـمع ولا يـرد علـى فـاروس، ولكـن فـاروس لا يعلـم سبب سكوته.

نظـر عسـمتس لفـاروس نظـرة طويلـة وكأنـه يتمنى سـماع شـيء جديـد يزيـد الحـوار جـدلًا، لكـن فـاروس انتهـى مـن كلامـه وينتظـر ردًّا ابتسـم عسـمتس ابتسـامة هادئـة، ثـم قـال ـ أولًا: مسـألة أن للكـون خالقًـا، فأنـا أختلـف معـك تمامًـا فيهـا، فأنـا أرى أن هـذا العـالم قـديم، وأن الخلـق موجـود قِـدم ذلـك العالم، ثم يتبع الكلام قائلًا:

obeikandi.com

ولو افترضت جدلًا أن له خالقًا، فما الذي أعلمك أنه الله؟

يجيبه فاروس بإجابة جرت على لسانه، لا يعلم كيف جرت وهو مصدوم مما يسمع من عسمتس:

ـ أنت تريد أن تسوي بين الحق والباطل. كيف تقول إن العالم قديم والمخلوقات قديمة مع أن الصنعة والمادة لابد لها من صانع حكيم يخلقها ويبدعها في تلك الصور الجميلة التي نرى المخلوقات عليها؟!

إن كل من ادعى الألوهية لم يقدر أن ينسب لنفسه أنه خلق الناس أو خلق السماء والأرض.

يرد عليه عسمتس:

. لقد جئت معك باحثًا عن علم، وليس باحثًا عن دين.

يجيبه فاروس:

. إننا كنا في تيه وضياع في كل شيء. لا علم ولا دين صحيح.

والآن عرفنا من خلقنا، وخلق جميع الناس لعبادته وهو رحيم بهم،

وأنت ترفض ذلك النور ؟

عسمتس:

ـ يا فاروس أيها الصديق العزيز، لقد فتحت عيني في الحياة وأنت صديقي، وتحررت من خرافات المعبد وأنت صديقي

obeikandl.com

والآن ستظهر بوادر خلاف بيني وبينك، وأنا لا أحب أن يحدث ذلك بيني وبينك، فسأظل هنا في راقودة أبحث عن عالم بالكيمياء، أو الفلك أتعلم منه وسأعمل أي عمل أتكسب منه حتى أدخر بعض الأموال أعود بها معي إلى الجزيرة لأبنائي.

أدمعت عينا فاروس، وتحشرج صوته وهو يقول: لم أكن أتوقع أن يكون بيني وبينك فراق، ولكني لن أرغمك على شيء أنت لا تريده. افعل ما شئت.

وها هي عشرة دنانير فهي كافية لتعيش بها أشهر حتى تجد عملًا جيدًا أو تشتري بها شيئًا وتتاجر فيه،

وها هي شريحة من شرائح التونة. ضعها معك في أمتعتك.

افترق الصديقان تحت المطر، وشق كل منهما طريقه.

سار فاروس وحيدًا مصممًا على الوصول لأهل العلم عن الله. لم تكن رحلة فاروس لإقليم جاسان سهلة، بل كانت شاقة، وواجه صعوبات كثيرة.. فقد واجه العواصف والأعاصير والأمطار.

كما واجه حراس فرعون الذين ينكلون بكل من يقول الله، وأخفى عليهم إيمانه، فكان يترقبهم في كل مكان ويتوارى منهم ويخفي نفسه وما جاء إليه.

وواجـه شـرائح النـاس المختلفـة، وكيـف عـانى في الجـدال معهم.

ولـم يتـرك لـه قطـاع الطريـق مـن مالـه أي شـيء، أخـذوا جميـع مالـه، وكـادوا يقتلونـه ولكـنهم تركـوه هـو وشـرائحه يلقـى المـوت في الطريـق المظلـم ....وظـل يتنقـل مـن مدينـة إلى قريـة إلى مدينـة حتى وصـل إلى مشـارف مدينـة عجيبـة، ومـا أن وصـل إلى مشارف تلك المدينة إلا وشاهد منظرًا عجيبًا:

شـاهد سـاحة كبيـرة جـدًّا لـم يشـاهد مثلهـا مـن قبـل ،مكانًـا متسـعًا محاطًـا بالجبـال وبـداخلها عـدد مهـول مـن الصـلبان تعـد بالمئـات معلـق عليهـا هياكـل عظـام بشـرية. منظـر عجيـب وغريب، وكأنه دخل مدينة كل من عليها قد صُلب.

لـم يشـاهد في حياتـه صَـلبَ إنسـان وهـو الآن يشـاهد مذبحـة من الصلب وقعت في هذا المكان، وتلك الساحة.

وقف فاروس مذهولًا مما يرى، ومما يشعر به، وظل يفكر:

هل أوشكت على الموت، وهذه هلاوس أشعر بها؟!

ما تلك الصلبان ؟

وما تلك الهياكل العظمية؟

وما تلك الساحة ؟

ما قصتها ؟

obeikandl.com

من صنع كل تلك الصلبان ؟

وماذا فعل هؤلاء ليُصلبوا؟

كل هذه تساؤلات تدور بذهن فاروس، ولا يعرف لها إجابة، ولا يستطيع أن يفكر من التعب، فجلس على ركبتيه، وهو ينظر لتلك الصلبان، وقد شعر بتعب شديد، وأوشك على الإعياء، وإذ به يرى رجلًا في الخمسين من عمره، يقف من بعيد ينظر ناحية الصلبان ولا يتحرك ...

يتمتم بفمه وكأنه يقرأ شيئًا محفوظًا ...اقترب منه فاروس، وخاطبه بصوت خافت وهو ينظر إليه وقت تملك منه الإعياء حتى جثا على ركبتيه من شدة الإعياء.

كان لتلك الحالة التي عليها فاروس أثر كبير في اكتساب الرجل الثقة في أن فاروس رجل يحتاج المساعدة وليس رجلًا يتجسس عليه أو من جنود فرعون:

. ما تلك الساحة التي لم أشاهد مثلها من قبل ؟

لم يجبه الرجل، ورد عليه بسؤال:

. أظنك غريبًا ؟

. نعم أنا من جزيرة قرب ساحل راقودة.

. أنت جئت من مكان بعيد.

. ولماذا جئت إلى هنا ؟

obeikandl.com

ـ لكي أبحث عن أهل العلم. عن الله، فأنا في طريقي لإقليم جاسان.

. ولا تخشى جنود فرعون؟

. إنني لا أخشى الموت ذاته، الحقيقة أو الموت دونها.

نظر الرجل إلى عيني فاروس، وجدهما تمتلئان إصرارًا على طلب الحق، ويفط منهما الصدق فاطمأن له وقال:

ـ أما سؤالك عن تلك الساحة، فسأجيبك عنه، أولًا لتعلم أن هنا في تلك الساحة مات أشخاص من أجل إيمانهم بالله، ومن أجل قولهم لا إله إلا الله.

إن تلك الساحة هي ساحة، شهدت مشهدًا عظيمًا، فرَّق الله فيه بين الحق والباطل، بين النور وبين الظلام.

إنها الساحة التي شهدت إيمان سحرة فرعون بالله الواحد القهار. إنها الساحة التي شهدت نصر الله لنبيه موسى على فرعون.

إنها الساحة التي شهدت الموت الجماعي من أجل نصرة لا إله إلا الله.

. وهل تلك الهياكل العظمية على الصلبان لهم ؟

أجابه الرجل الخمسيني وهو يبكي:

. نعم وفيهم معلمى.

obeikandl.com

. هل قُتل ؟

ـ نعم وأحضر لأزوره مذ كنت طفلًا صغيرًا، فقد شاهدت معه المشهد العظيم، وشاهدت استشهاده وآمنت بالله.

ـ سأحكي لك كيف حدث ذلك، ولكن تعالَ معي لذلك الكهف، فإن الأمطار لا تتوقف. سار فاروس والرجل يدوسان بأقدامهما في الأوحال حتى دخلا الكهف.

دخل فاروس الشجاع مع الرجل الخمسيني في كهف في أحد الجبال المحيطة بساحة الصلبان.

ثم جلسا، وأخرج الرجل حجرين صخريين، وطرقهما فأشعل الرقية التي كانت في وسط الكهف، وكأنها لكل من دخل وجلس .. وأخرج فاروس شريحة مملحة من شرائح سمكة التونة، ودعا الرجل للطعام معه، وبعد أن انتهيا من الأكل ترك فاروس ما تبقى من الشريحة أمامهما لعل الرجل إذا أراد أن يأكل في أي وقت أكل .

نظر الرجل من فتحة الكهف إلى الأمطار المنهمرة، وتمتم بكلمات لم يفهمها فاروس؛ لأنه لا يسمعها فهي خافتة جدًّا، ثم نظر إلى فاروس بعينين ممتلئتين بخشية لله، وبدأ الرجل في الكلام، وفاروس يستمع، وكله ترقب وأمل في علم جديد.. عندما كنت طفلًا لم يتجاوز التسع سنوات، أراد

أبـي أن أتعلـم شـيئًا يجعلني ذا شـأن، ومقربًـا مـن القصـر الملكي، فلـم يجـد إلا السـحر، فأرسـلني ألى السـاحر العجـوز جنـديس؛ لكي أتعلـم منـه فنـون السـحر، فظللـت معـه، أحمـل لـه الأدوات التي يسـتخدمها في السـحر، وأنظـر لكـل حركاتـه وأفعاله، وأتعلم حيله العجيبة.

وفي أحد الأيام، جاء منادٍ من قِبل القصر الملكي قائلًا:

إن إلهكـم فرعـون، يطلـب كـل مـن كـان علـى درايـة بفنـون السـحر.. الجميـع يجمـع في مدينـة فرعـون المبجـل، ومـا أن سـمع ذلـك السـاحر العجـوز جنـديس، إلا وجهـز أمتعتـه للسـفر إلى مدينـة فرعـون، ولكـن لسـوء حظـه، لـم يكـن في مدينتى أحد على دراية بفنون السحر إلا هو..

ومطالـب بـأن يرحـل مـن قريتنـا إلى مدينـة فرعـون وحـده، ولـن يسـتطيع ذلـك، فطلـب مـن أبـى أن يسـمح لـه بـأن يصـطحبني معـه لكـي أخدمـه، وأتعلـم أيضًـا، فوافـق أبـي علـى الفـور، فالمجـد اقتـرب مـن ابنـه الصـغير، وقـد ينـال ابنـه شـرف رؤيـة الإله فرعون.

وأثنـاء سـفرنا في قـارب في النيـل، وجـدنا بعـض السـحرة جـاءوا مـن قريـة بجانبنـا لا تطـل علـى النيـل؛ ليركبـوا مـن قريتنـا إنهـم يحملـون جميـع أدوات السـحرة .. فـنحن أكثـر النـاس معرفـة

بالسحرة. نعرفهم من ملابسهم والجيوب الخفية التي فيها، وبعض الفتحات الضرورية في الكتف من الخلف، جلسوا قريبًا منا في ذلك القارب المبحر عبر النيل.

القارب يشق المياه بمقدمته، وقد زينها تمثال صغير من الخشب للإله آمون، فهو يجوب النيل شمالًا وجنوبًا ينقل الناس من هنا لهناك ومن هناك لهنا.

دفع الفضول الساحر جنديس للسؤال عن سبب جمعهم، فيجلس بجوار رجل منهم، وجلست تحت قدميه أستمع.

. أنت من أي مدينة ؟

من قرية قرب بوباستيس، قد ذهبت لأصحابي هؤلاء؛ لأذهب معهم.

ـ اها أراك تعبد الإلهة باستيت إلهة الخصوبة والحب تلك القطة المعظمة.

. نعم وشاهدت احتفالاتها السنوية.

. ما أعظم معبدها!

. نعم.

. من علمك السحر ؟

. لقد علمني بكرورس.

. اها إنه تلميذي. ألم يخبرك عني ؟ إنني جنديس.

obeikandl.com

. اها

أظهر الرجل علامات الاندهاش، وكأنه قابل رجلًا عظيمًا، فإن أكثر الناس تقديرًا للناس هو تقدير المتعلم للعالم، فإنه تقدير نابع عن قلب صافٍ خاضع معترف بالجميل.

ـ نعم نعم لقد أخبرني أنك من أعظم سحرة مصر، فقام الساحر وكله سعادة، وفخر أنه جلس بجانب جنيدس، ونادى على أصحابه؛ ليخبرهم بذلك، فجاءوا جميعًا والتفوا حول الساحر العجوز جنديس:

ـ نريد أن نتعلم حيلة المشي على الماء، كل السحرة قالوا لا يعلمها إلا جنديس إنك أعظم ساحر، لكن لا أحد يقدر.. وقد ضاع مثلك كثيرون. الجميع يتكلم ويثرثر ولكن جنديس سعيد بهم، وسألهم لماذا يجمعنا فرعون؟

فأجابه أكبرهم - وكان وقد تجاوز الستين بقليل فجلس بجانبه- وقال له بصوت منخفض:

إن موسى بني إسرائيل ذهب إلى فرعون، وقام بعمل شيء من السحر أمامه متحديًا أن يستطيع فرعون أن يفعل مثله.

فقد أدخل يده في جيبه وخرجت بيضاء من غير مرض.

فقد كانت مضيئة، وكان يشع منها النور.

obeikandl.com

وقد ألقى بعصاه، فرأها جميع من حضر مجلس فرعون وقد تحولت حية ضخمة مخيفة مفزعة، تتحرك ولها فحيح، فقال له فرعون: حدد يومًا يكون فيه التحدي.

فاختار موسى بني إسرائيل يوم الزينة، وأراد فرعون أن يجمعنا جميعًا من كل قرى مصر لهذا التحدي.

ـ وماذا يريد موسى بني إسرائيل ؟ أليس هذا موسى الذي تربى في قصر فرعون؟

ـ نعم إنه هو، إنه يدعي أنه رسول من الله إله بني إسرائيل، ويدعي أن ذلك الإله هو الإله الأوحد، وأنه خالق الكون كله، ورب جميع الخلق، ورب جميع الأرباب.

. وفي أي شيء التحدي ؟

. إن التحدي في العصا التي تتحول حية.

ـ إن تلك الحيلة من حيل السحر السهلة لمن يعرفها. نعم لذلك نحن نذهب وكلنا ثقة بالنصر.

وذهبوا جميعًا لمدينة فرعون، وكنت معهم كالعكاز للساحر العجوز.

وما أن وصلنا إلى تلك الساحة إلا ووجدنا جميع سحرة مصر مجتمعين في تلك الساحة. سبعين ألفاً من السحرة أو يزيد.

obeikandl.com

منهم من كان من بني إسرائيل، ومنهم من كان من أهل مصر، ومنهم الحبشي، ومنهم الفارسي، ومنهم من يعرف سبب جمعهم، ومنهم من لا يعرف ويتساءل، وكثر الكلام وارتفعت الأصوات، فيأتي مندوب القصر الملكي ومعه شمعون ويوحنا، وهما كبيرا السحرة في القصر الملكي وخلفهم الحراس، وينادي قائلًا: ـ إنكم مقبلون على حدث تاريخي ..

ـ إن من سيشارك باسم فرعون سيكون له شرف عظيم، وسيخلده التاريخ، وسيُنقش اسمه على جدران المعابد.

سنضع شروطًا للسحرة المشاركين، ومن ستنطبق عليه الشروط سيشارك معنا في نصرة دين فرعون.

ـ لابد لمن يشارك معنا أن يكون من مهرة السحرة، وله مع السحر أقل شيء عشرون سنة، فمن له أقل من ذلك فلينصرف بعزة فرعون.

فانصرف السحرة إلا سبعة آلاف.

ثم نادى الرجل المرسل من القصر الملكي:

ـ لا بد لمن سيشارك في ذلك الشرف أن يكون من أهل مصر أو من عبيدها.

obeikandl.com

فانصرف السحرة الذين جاءوا من فارس ومن الحبشة وأفريقيا، ومن الصحراء الأمزيغية إلا سبعمائة، ثم نادى الرجل:

ـ لا يبقى منكم أحد هنا بعد الآن إلا من انطبقت عليه تلك الصفات.

فطاف الرجل وشمعون، ويوحنا على السبعمائة ساحر يتفقدونهم ويختبرونهم، فاختاروا منهم سبعين من كبارهم وعلمائهم، وكان الساحر العجوز جنديس على رأسهم، فهو من مهرة السحرة ولولا بعده عن قصر فرعون، لكان هو كبير السحرة؛ لعلمه بفنون السحر القديمة والحديثة ومعاصرته لكبار السحرة قديمًا في مصر، وتعلمه منه

فنظر إلى أحد الحراس وقال لي:

ـ أنت أيها الصغير، ما الذي أتى بك إلى هنا؟ فقد ظن أنني مندَّس عليهم من قِبل موسى، وهارون،

فرد عليه جنديس وقال له: إنه معي وأنا لا أستطيع السير دونه.

ـ فاطمأن الحارس لي؛ لما يرى من تقدير شمعون ويوحنا لجنديس العجوز،

ثم قال مندوب القصر الملكي:

obeikandl.com

أيها السحرة الكرام المهرة، إنكم اليوم أمام حدث تاريخي، إنكم أصابكم المجد الفرعوني المقدس، إنكم اليوم سيكتب اسمكم في صحائف من ذهب، إنكم ستتحدثون مع المعظم وجهًا لوجه، إنكم ستشاهدون فرعون، إنكم ستشاهدون سليل الآلهة، إنكم ستشاهدون ربكم الأعلى، وسيأتي الآن فرعون يخاطبكم، فالجميع ينحني ولا ينظر للموكب ولا لفرعون حتى يسمح لمن شاء منكم بالنظر إليه.

ووقفنا وكلنا رغبة قوية لكي يسمح لنا فرعون حتى نشاهده في جاهه، وموكبه العظيم.

وبعد أن أصبح ظل كل شيء مثله، وقد أوشكت الشمس على الاصفرار.

إذ بنا نشاهد موكبًا عظيمًا يأتي من بعيد تجره الخيل، فينظر كل منا عند قدميه، وينزل فرعون من عربته الحربية، ويقف أمامنا يرتدي ملابس من الحرير منسوجة بالذهب الخالص ومرصعة بالياقوت والزبرجد ... وعلى رأسه التاج الملكي العجيب الذي لا يستطيع أحد وصفه، وإذ بنا نسمعه يتحدث، الجميع رجف قلبه، وطربت أذناه لسماع الصوت الملكي وأي صوت!

إنه صوت فرعون قال:

أيها السحرة، إنني كما تعلمون سيد الآلهة، وسيد الآلهة لابد أن يكون حليمًا.

وجاء لي موسى رسولًا عن إلهه الذي يدعي، ومعه عصا تحول حية ويدعي أنها معجزة، لولا حلمي لنالته اللعنات وسُحق، ولكني حليم، أردت أن أثبت له أن ما يفعله ما هو إلا سحر.

فمن منكم يستطيع أن يغلبه؟

إنني ذو رحمة ومغفرة لمن تاب عن عنادي.

يقول مندوب فرعون:

الآن، من يجد في نفسه القدرة على تمالك نفسه ومخاطبة فرعون فليتقدم.

الجميع مهطع رأسه، ولم يتقدم أحد الا جنديس.

جاء من خلف الناس واثق الخطا وأنا معه طفل صغير سعيد برؤية فرعون.

قال جنديس :

ـ إن ما سنقدمه لجلالتك هو شرف لنا. ولكن هل ما سنقوم به جميعًا هو من الطقوس الدينية أم أنه مقابل أجر ؟

فأجابه فرعون سعيدًا بهذا الكلام:

obeikandl.com

ـ نعم، إن هذا من الطقوس الدينية، وستكونون من المقربين.

. وكذلك لكم أجر عظيم من خزانة مصر التي لا تنفد أبدًا.

إنني أنا فرعون أكرم الآلهة.

رجع جنديس للخلف وهو مهطع رأسه،

وسرنا أنا وهو بظهرنا حتى لا نلتف ونعطي ظهرنا لفرعون المعظم.

ركب فرعون موكبه، وانصرفوا جميعًا وقد خفقت القلوب مع صهيل الخيل، وصوت العربة الذهبية التي يستقلها فرعون ..

وأصوات أقدام الحراس، وهي تصطدم بالأرض.

قال مندوب القصر:

إن موعد التحدي المعظم يوم الزينة بعد شروق الشمس، فالجميع يستعد لذلك اليوم.

أمامكم عشرة أيام، ولكم جميع ما تحتاجون في تلك الفترة من طعام وشراب ومكان للمبيت وحراسة من جنود فرعون المعظم.

انصرف مندوب القصر وقد غربت الشمس وبدأت الظلمة تحط على المكان.

obeikandl.com

إن لكل خمسة أفراد خيمة كبيرة بداخلها طعام يوم لهم.

مررت أنا، وجنديس العجوز على الخيام يتخير خيمة، فوجد الرجل الذي خاطبه جنيدس في القارب، فدخل معه الخيمة ومعنا ثلاثة من كبار السحرة من مدينة منف.

رحبوا جميعًا به؛ لما سمعوه منه من مخاطبة فرعون، ولأنهم سيصبحون مقربين من فرعون بسبب تلك المخاطبة ولهم أجر أيضًا.

سهر الجميع تلك الليلة في الخيام يتحدثون عن تلك المواجهة وعن موسى.

فسألهم العجوز جنديس:

وهل موسى اشتهر بالسحر من قبل ؟

قال أحدهم:

ـ لا لم يُعرف عنه أنه تعلم السحر على يد أحد من السحرة،

ـ ولكن تحوُّل العصا إلى حية حيلة سحرية معروفة من قديم الأزل.

. نظر جنديس نظرة تأمل وتفكر، ثم قال له:

أين موسى الآن؟

قال أحدهم:

obeikandl.com

. إنه في السجن القريب من هنا، ومعه أخوه هارون.

فقال جنديس:

. هل تريدون أن تتعلموا شيئًا؟

_ نعم.

. هل تعرفون كيف تضعون حدًّا بين السحر والمعجزة ؟

ما الذي يميز المعجزة عن السحر؟

كيف تستطيعون أن تثبتوا أن ما فعله موسى سحر؟

إنكم لن تهزموا موسى حتى تعلموا هل هو ساحر أم ليس بساحر.

ويجب أن تعلموا لو هو ساحر إلى أي مدى وصل في السحر؟ وهل عندكم أدوات تتغلب على أدواته؟

سكتوا جميعًا، وكأنهم تلامذة في مدرسة جنديس.

فقال لهم:

ـ لكي تعلموا أن ما فعله موسى أمام فرعون سحر أم ليس بسحر، فليذهب أحد من أتباعنا إلى موسى وهو نائم، ويحاول أن يأخذ عصاه، فلو تحولت لحية إذن هذا ليس بسحر إنما هي معجزة، ولو ظلت عصا جمادًا كما هي إذًا هو ساحر، وستكون الغلبة لنا.

obeikandl.com

وبعد شروق يوم جديد، خرج رجل منهم وذهب إلى كبير الحراس الموكلين بحراستهم، وقال له: إن رئيسنا جنيدس يريدك.

. من جنديس؟

. إنه الساحر الذي خاطب فرعون.

ـ اها نعم تذكرته، دخل كبير الحراس خيمة جنديس، وسأله عما يريد فقال له: هل موسى مسجون في مكان قريب من هنا؟

قال الرجل : . نعم.

قال جنديس له: ـ نحن نريد منكم شيئًا هامًّا لكي نتغلب عليه، . ما هو ؟

خاطبه جنديس وهو يخفض صوته حتى يشعر كبير الحرس بأنهم قادمون على عمل هام سيجلب النصر.

فقال:

ـ نريدك أن ترسل برجل من رجالنا عند موسى، وينتظر حين ينام موسى فيحاول أخذ العصا.

. وهل هذا الأمر هام؟

. نعم سنعلم منه مدى سحر موسى وقدرته.

ـ حسـنًا سـأرفع طلـبكم لرئيسـي في جـيش فرعـون وانتظـروا الرد.

وبعد ثلاثة أيام، جاء كبير الحراس الذي خاطب جنديس.

وأخبـره أنهـم حـاولوا أخـذ العصـا مـرارًا عنـدما كـان موسـى نائمًـا، فلـم يسـتطيعوا، فـإن العصـا تتحـول حيـة كلمـا اقتـرب منها أحد.

شـكره جنـديس وقـال لـه: أبشـر وبشـر القصـر، ثـم انصـرف الحـارس.. نظـر جنـديس لمـن معـه مـن السـحرة، وقـال لهـم: إن مـا يفعلـه موسـى لـيس بسـحر، إن السـاحر لا يعمـل سـحره وهو نائم.

نظر أحدهم لجنديس وقال:

. أتظنه رسولًا من الله كما يدعي ؟

ـ لا أعلـم، ولكـن الأمـر لا يبشـر بخيـر، ولا بـد مـن إخبـار يوحنـا وشـمعون، وبعـد يـومين جـاء شـمعون ويوحنـا يتفقـدان شـئون السـحرة، فوقفـوا في السـاحة الكبيـرة، ووقـف كـل سـاحر يظهر ما لديه من حيل ومن ثعابين.

وكنـت أقـف مـع جنـديس وأشـاهد تلـك الحيـل .. أمـا حيلـة الثعـابين، فكـان الجميـع مهتمًـا بهـا ولـديهم جميـع أدوات تلـك الحيلـة، فكانـت أدواتهـم عبـارة عـن نـوع مـن قمـاش الكتـان

obeikandl.com

الملـون علـى شـكل حيـة وبداخلـه زئبـق، وقطـع مـن الخشـب علـى شـكل زاويـة، إذا طلعـت الشـمس علـى الزئبـق تمـدد، فيضـغط علـى القطـع الخشـبية التـي علـى شـكل زاويـة، فتتحرك حركة معاكسة فتظهر وكأنها حية تتحرك.

مـنهم مـن جعلهـا كبيـرة، ومـنهم مـن جعـل طولهـا ذراعًـا وفمهـا كبيـرًا، تعـددت الأشـكال والأفكـار.. وأثنـاء تفقـدهم للسـحرة، أخبـر جنيـدس شـمعون ويوحنـا بمـا حـدث مـن اختبـار عصـا موسى.

فتعجبـا كثيـرًا ممـا حـدث وقـالا لـه: لا تخبـر فرعـون بـأن هـذا لـيس بسـحر وإلا قتلنـا جميعًـا، وظـن أننـا متـآمرون عليـه، وتسـرب خبـر اختبـار عصـا موسـى لجميـع السـحرة، ولكـن لـم يخبر أحد منهم أحدًا من الحراس على نتيجة الاختبار.

وفي الليلـة التي تسـبق يـوم الزينـة، الجميـع تمـم على الأدوات، ووضـعوا جميـع الأدوات أمـام أعيـنهم يتفقـدونها، ويسـتعدون لغد، الجميع لم ينم تلك الليلة.

وفي الصـباح وبعـد شـروق الشـمس خرجنـا جميعًـا، ووقفنـا في وسـط السـاحة منتظـرين الأمـر مـن فرعـون، وجـاء فرعـون وجنـوده والملأ، وتجمـع النـاس على حافـة السـاحة، واحتشـد النـاس وكـانوا بـالآلاف، فـأمرني الحـراس بـالرجوع للخلـف وأن

obeikandl.com

أحضر مرة أخرى بعد أن ينتهي التحدي؛ لآخذ الساحر العجوز جنديس، فرجعت ووقفت في أول الصفوف مع الملأ.

الجميع ينتظر.. الجميع يتعجب من ذلك الرجل الذي يتحدى فرعون!

وجيء بموسى وهارون- عليهما السلام- وقف موسى في منتصف الساحة ودعا الناس إلى ترك عبادة فرعون، والأصنام وعبادة غير الله إلى عبادة الله الواحد القهار.

وأخبر الناس أن تلك الحياة الدنيا إلى الزوال، وأن الآخرة خير وأبقى، وأن من يعبد الله مخلصًا الدين، له الجنة وأن من يكفر بالله له النار خالدًا فيها، ثم نظر إلى السحرة، ودعاهم إلى عبادة الخالق، ونصرة الحق وترك الباطل. إن الباطل كان مدحورًا، وحذرهم من عذاب النار التي لا تبقي ولا تذر.. أصابهم شيء وكأنه سهم الله.

إن كلام موسى ليس بكلام ساحر.

إن الساحر يرد المال والعطايا، وهذا يريد هداية الناس للإيمان بخالق الأكوان، وحدث نقاش بينهم لم يسمعه أحد من الجنود حول موسى، فأغلبهم متيقن أنه ليس بساحر.

أصدر فرعون أمرًا للسحرة بأن يقوموا بتنفيذ تلك الحيلة، تحول العصا حية.

فإنه ينتظر سبعين حية تنزل على الأرض تسعى.

إن معهم سبعين عصا مصنوعة من قماش الكتان السميك، ملونًا عليها بألوان طبيعية خطوط عريضة، أما الرأس الملونة المرسوم عليها فمًا ونابين ولسانًا وعينين، فقد أمسك كل ساحر بها في يده.

إن فرعون يقف وكله تكبر وعجرفة وغرور وأشار بيده؛ لكي يسمح لموسى بإلقاء عصاه

فخيَّر السحرة موسى بين أن يبدأ هو أو هم.

لكن موسى طلب أن يلقوا أولًا، فسمح لهم فرعون أن يلقوا، فألقوا عصيَّهم .. وما إن تعرضت تلك العصا الملونة الأشكال لأشعة الشمس إلا وبدأت في التحرك، ونظر الناس وتعجبوا من تلك الحيلة، وذلك العدد الكبير من الثعابين التي ملأت ذلك الوادي، وتلك الساحة يركب بعضها بعضًا رجع الملأ للخلف من رهبة ما يرون، وكأنهم قد خافوا على أنفسهم أن تأكلهم تلك الحبال الغليظة المصنوعة من قماش الكتان، ووقف فرعون، وقد كاد أن يظن أنه إله حقًّا، وما أن رأى موسى تلك الحيات إلا وخاف.

obeikandl.com

لم يخف من تلك الحبال، لم يخف من تلك الحيل.

خاف موسى من غضب الله، فهو يعلم أن بطش ربه شديد.

إنما خاف من عصاه التي ستتحول بعد قليل وتصير حية؛ لتنصر دين الله.

كيف ستكون ؟!

إذا كانت تلك الحبال لها تلك الهيبة في نفوس الضعفاء خاف موسى من قدرة الله التي ستجعله هو الأعلى بعد قليل.

وما أن أخذ الإذن بالإلقاء، إلا وألقى بإذن الله، بسم الله، وكله إيمان وثقة في الله، فألقاها، فإذا هى ثعبان عظيم يرعب كل من وقع بصره عليه، يقف شامخًا رافعًا رأسه وكأنه جبل عظيم، فظلت تتحرك وتسعى والجميع أصابه الرهبة من شكلها، الجميع عاد للخلف، جميع الحبال والعصي والحيل الكاذبة توقفت عن الحركة بقدرة الله،الزئبق توقف عن التمدد بقدرة الله، شتان بين قدرة الخالق وقدرة المخلوق، شتان بين إرادة الخالق وارادة المخلوق، اقترب الثعبان من حبالهم وعصيهم وابتلعها الواحد تلو الآخر، حتى ابتلعها جميعًا.

سجد السحرة لرب العالمين لله لمن خلق الخلق جميعًا

obeikandl.com

أيــن المؤمنــون بــالله؟، أيــن الموحــدون لله؟، أيــن المعترفــون بحق الله؟، سجد السحرة وانصرف الناس فزعًا،

ســجد الســحرة وخشــي النــاس العواقــب، ســجد الســحرة وانهــزم فرعــون، أمــر فرعــون جنــوده بحبســهم، بعــدما أوهــم النــاس أنهــم اتبــاع لموســى، وأنهــم ادعــوا نصــرة فرعــون حتى يُخرجــوا النــاس عــن ديــنهم، وخــلال أيــام لقــوا مصــيرهم المحتوم، الشهادة فى سبيل الله.

قطــع فرعــون أيــديهم وأرجلهــم مــن خــلاف، وصــلبهم في جــذوع النخل في تلك الساحة.

سكت الرجل، ولكن فاروس لا يريده أن يسكت.

نظــر فــاروس مــن داخــل الكهــف إلى الســاحة وقــد تشــربت بميــاه الأمطــار، حتى صــارت بحيــرة كبيــرة، تخــرج منهــا جــذوع النخل كأنها مزروعة في تلك الأرض، تسقيها تلك المياه،

ولكنها جذوع نخل لم تحمل تمرًا، إنما حملت شهداء بررة،

نالت شرف لمس أجسادهم،

نالت شرف أن سالت دماؤهم عليها.

يــرى الهياكــل العظميــة ويتعجــب مــن قــدرة الله الــذي خلــق العظــام، ثــم كســاها لحمًــا وجلــدًا، وبعــد طــول تأمــل وتفكــر، ينتبــه فــاروس أنــه لــم يعــرف اســم ذلــك الرجــل، فينظــر إلى

obeikandl.com

وجهه، يجده يتمتم وبداخله شيء من الرهبة، فيتحير فاروس فى هذا الأمر.

. ما اسمك سيدي؟

. أنا اسمي مينا.

. تشرفت بمعرفتك.

. وأنت؟

. أنا اسمي فاروس.

ـ تشرفت بمعرفتك فاروس. فأنا لي سنوات لم أجد رجلًا عنده علو همتك ويطلب العلم مثلك.

ـ أنا أشعر أن بداخلي إيمانًا بالله، وأن لي رسالة لابد أن أفعلها.

. ماهى؟

ـ لابد أن أخرج عشيرتى على الجزيرة من ظلمات الجهل ومن سطوة المعبد.

ـ إنك تستطيع أن تفعل ذلك بإيمانك بأن الله سينصرك، وبعلمك عن الله.

يسكت فاروس وينظر لمينا فيجده يتمتم أيضًا.

يسأله فاروس:

obeikandl.com

ـ لماذا كلما انتهينا من حوار أجدك تجلس وقد امتلئت رهبة، وتتمتم بكلمات لا أسمعها؟

قال له الرجل:

ألم تلاحظ أن هذا الشتاء جاء قاسيًا وشديدًا، لم تشهده مصر من قبل؟

ـ أجابه فاروس: نعم نعم. إنني أعمل صائد أسماك، وأفهم الطقس جيدًا وأنواع الرياح التي تهب على مصر، واتجاهاتها بحكم عملي، وقد أجمع صيادو الجزيرة، الكبير منهم والصغير، على أنه لم يشهد مثل هذا الطقس الذي يقلع الأشجار من الأرض.

ـ نظر إليه مينا، وقال له: إن طقس هذا الشتاء هو آية من آيات الله، أرسلها الله على فرعون وملئه وجنوده وأتباعه، إنه الطوفان، إنه الطوفان

حتى يؤمنوا بالله العلي القدير،

ـ سالت الدموع على خد فاروس، وامتلأت عيناه دموع الخشية لله، ثم قال له:

أنار الله قلبك على ما أبصرتني به من تلك الحقائق.

أنا كنت متأكدًا أن هذا الطقس عجيب وغريب، ولم تشهد الدنيا مثله.

obeikandl.com

أنا أكثر الناس إيمانًا بآية نبي الله موسى تلك.

أدمعت عين مينا، وقال له: إن الله أرسل على فرعون وقومه آيات كثيرة في السنوات الماضية، منها أن صارت المياه دمًا، ومنها أن الضفادع ملأت الحقول والبساتين والبيوت، حتى قصر فرعون، ومنها:أن أرسل الله عليهم الجراد، فأكل الأخضر واليابس.

. يا مينا، أريد أن أقابل نبي الله موسى.

ـ لن تستطيع يا فاروس، فسيلتقطك جنود فرعون قبل أن تصل إليه، فهم يراقبونه ويستحيل أن تصل إليه.

ولكني سأوصلك إلى أحد علماء بني إسرائيل، فهو العالم النحرير أبو يعقوب، يسكن في حي العبيد، الحي الذي يعيش فيه بنو إسرائيل.

يعيش في صومعة وحيدًا يتعبد.

ذهب مينا وفاروس في دياجير الليل البهيم حتى وصلا إلى ذلك العالم في خلوته بالصومعة،

وكان ذلك العالم يحب مينا جدًّا، فعرَّفه على فاروس، وحكى له قصته، وجلس فاروس بين يديه من هيبته.

قال له العالم -وكله شفقة عليه-:

ـ إنك ستظل عندي أربعة أيام أعلمك فيها، ولن تستطيع أن تجلس أكثر من ذلك؛ لأن جنود فرعون يمرون للتفتيش كل أسبوع، وما هي إلا أربعة أيام حتى يمرون.

. نفعني الله، وإياك بذلك العلم.

فكر فاروس فيما يقوله العالم أبو يعقوب، فلم يجد حلًّا إلا أن يكتب كل ما يسمعه منه في تلك الأيام الأربعة،

ولكن كيف يكتب وهو سيسير في رحلة طويلة، وقد يوقفه جنود فرعون ولو وجدوا معه أي كتابات سيتهمونه بالكفر بديانات مصر وسيقتل؟

فطرأت على ذهنه فكرة أن يكتب على شرائح السمك المملح.

نعم. إن كل شريحة يبلغ طولها ذراعًا، فلو كتب عليها بشوكة صغيرة من أشواك السمكة العالقة بتلك الشرائح، لحفرت على الشريحة، ولن يشك أحد من الجنود، أو يفكر أن تلك الشرائح المملحة مكتوب عليها، فطلب الإذن من أبي يعقوب، فسمح له.

استأذن مينا في الخروج، ودعا لفاروس وتمنى لقاءه مرة أخرى، وخرج وكله أمل في ذلك الشاب الطموح المؤمن.

جلس فاروس وقد امتلأ همة، ثم قال: قبل أن تُملي عليَّ أيها العالم الجليل أريد أن أستفسر عن أسئلة طالما حيرتني.

قال له أبو يعقوب:

. سل ما شئت.

قال فاروس:

من أين جئنا؟ وإلى أين نعود؟

ولماذا جئنا تلك الحياة؟

قال أبو يعقوب:

نحن ذرية نبي الله آدم، فقد كان أول البشر، خلقه الله بيده، وخلق له زوجًا من ضلعه وهي حواء، ونحن جميعًا من آدم، وآدم من تراب، جئنا إلى الدنيا في اختبار، وسنعود جميعًا إلى التراب كما خُلقنا منه، ثم يبعثنا الله بعد الموت ويحاسبنا جميعًا، ويجازي المؤمنين على إيمانهم بالجنة ويجازي الكافرين على كفرهم بالنار.

ولا تتعجل فأني سأخبرك بكل شيء.. جلس أبو يعقوب، وفتح كتابًا كبيرًا، ونظر إلى فاروس، وقال له: اجلس يا فاروس.

سأقسِّم ما سألقيه عليك إلى أربعة أقسام:

obeikandl.com

اليــوم الأول ســأكلمك عــن الله، اليــوم الثــاني عــن الأنبيــاء، اليوم الثالث عن اليوم الآخرن اليوم الرابع عن الأخلاق.

شــرائح، إنــي عرفــت الحقيقــة، إنــي شــرائح، نعــم شــرائح، فأنــا لست شيئًا واحدًا، لكني شرائح.

فأنــا لحــم ودم وعظــام، ومــن الجلــد شــرائحن عرفــت ذلــك بعدما أخذت الدنيا مني رقات، وقطعتني شرائح.

نعم شرائح.

لست وحدى شرائح.

لكن الناس أيضًا شرائح.

منهم من يدور في فلك الدنيا كالثور في الساقية.

ومنهم من تسمو به روحه إلى السماء السابعة.

ومنهم ضائع متحير يبحث في نفسه عن حقيقته الباقية.

إني عرفت الحقيقة، إنني شرائح والناس شرائح.

فســبحان مــن شــرح الشــرائح، إنــي عرفــت الحقيقــة، الموجــودات شــرائح موجــودات تســبح فــي فلــك الســماء.موجــودات تعبــث فــي بــاطن الأرض، أشــجاروأنهــار استقرت على سطح الأرض، فسبحان من خلقنا شرائح.

إنــه الواحــد الأحــد، الفــرد الصــمد الــذي لــم يلــد ولــم يولــد ولــم يكن له كفوًا أحد

obeikandl.com

جلس فاروس، وأمسك الشوكة الصغيرة، ووضع شريحة مملحة على فخذه وقال له:

ـ كما تحب أن تبدأ أيها العالم الجليل، فكلي آذن صاغية.

قال أبو يعقوب: أولًا

الإيمان بالله هو أصل الأصول، ومعرفة الله هي الحقيقة، والكل حولها يدور،

فالله مقصود الكل من المؤمنين،

ومن عرف اغترف،

ومن زاد علمه قل إنكاره،

وأشرف الناس الأنبياء، ثم العارفون بالله،

فاكتب أيها الطالب النجيب: الله - الله

هو الإله الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، المتفرد بالإعدام والإيجاد، قديم مخالف لما عاداه من الكائنات، باقٍ وهالك كل من عاداه من المخلوقات، هو الأول، فليس قبله شيء، وهو الآخر فليس بعده شيء، عليٌّ في ذاته عن إدراك المدركين، له الكمال المطلق ومنزه عن كل نقص، له الحمد والثناء الجميل، كل ما خطر في بالك الله خلاف ذلك، خلق الزمان والمكان والأحداث، خلق السموات والأرضين، وما بينهما والأكوان، مالك الملك، مدبر

obeikandl.com

الأمـور، غفـور رحـيم بعبـاده، لطيـف حلـيم، سـميع بصـير مجيـب مـن دعـاه، طلـب أبـو يعقـوب مـن فـاروس أن يحفـظ تلـك الكلمـات، ويسـبّح بهـا تلـك الليلـة، وأعطـاه كسـرات مـن خبز، وقال له: غدًا نكمل.

جلـس فـاروس ينظـر في الشـريحة التي حفـر عليهـا الكلمـات التي كتبها، ثم وضعها في مكان خاص بأمتعته.

لـم يتبـقَّ معـه إلا سـت شـرائح ، اختـار أن يكتـب على أربـع منها، وتتبقى له شريحتان لطعامه.

أخـذ شـريحة وقطعـة منهـا، قطعـة مقـدار كـف اليـد، جلـس يأكلهـا بكسـرات الخبـز.. وفـي الصـباح مـن اليـوم الثـاني، اسـتيقظ فـاروس مبكـرًا، وقـام يرتـب الصـومعة مـع أبـي يعقـوب، فـأبو يعقـوب يعـيش وحيـدًا، وبعـد أن انتهى ظـل يحفـظ في الشـريحة الأولى، حتى المغـرب، ثـم دخـل عليـه أبـو يعقوب؛ ليعطيه الدرس الثاني:

الأنبياء.

أخـرج فـاروس الشـريحة الثانيـة، وجلـس تحـت قدميـه، وأمسك بالشوكة التي يحفر بها.

قـال أبـو يعقـوب: الأنبيـاء، هـم صـفوة خلـق الله، اصـطفاهم الله مـن خلقـه، فهـو المطلـع على قلـوب النـاس جميعًـا، جـاءوا

obeikandl.com

لهداية الناس إلى توحيد الله وعبادته، ولتحذير الناس من الشرك بالله واتباع الشيطان، يتصفون بالصدق والأمانة والفطنة، هم أفضل الناس منطقًا وعقلًا، وأحسن الناس خَلقا وخُلقًا، أولهم آدم، وخاتمهم أحمد "البارقريط"

جاء اليوم الثالث، وجلس فاروس يكتب، وأبو يعقوب يعلمه، ويُملي عليه الدرس الثالث:

"اليوم الآخر"

يا فاروس إن الله خلقنا من تراب؛ لعبادته وتوحيده، وإننا جميعًا سنعود إليه، فالموت ليس بعدم، إنما هو انتقال من دار الدنيا إلى الدار الآخرة، وفي الآخرة يحاسبنا الله جميعًا على ما فعلنا، من حسن عمله في الدنيا يجازيه الله بجنة خالدًا فيها، ومن كفر بالله وسعى في الأرض فسادًا يجازيه الله بنار خالدًا فيها يعذب.

كتب فاروس الكلمات التي تُكتب بماء الذهب، الضرورة جعلته يحفر على شرائح سمكة التونة التي وهبه الله إياها.

وفي اليوم الرابع،

وفي نفس التوقيت، جلس فاروس تحت أقدام أبي يعقوب، وعلمه أبو يعقوب وأملاه:

"الأخلاق"

obeikandl.com

إن الله جعل الأخلاق من الدين، ولا دين لمن لا خلاق له، أنبياء الله يدعون إلى الاخلاق النبيلة؛ لأن الله يحب تلك الأخلاق، ويحذرون الناس من الأخلاق الدنيئة؛ لأن الله يكره تلك الأخلاق.

يحب الله الكرم والشجاعة، والحلم والعدل والمروءة والرحمة، والحب والتواضع، ويكره الله البخل والجبن والتهور، والظلم والدناءة والقسوة والكبر.

سلَّم عليه فاروس بعدما كتب الدروس الأربعة على أربع شرائح، ووضعها في أمتعته أسفل الشريحة المتبقية، والتي احتفظ بها فاروس؛ ليتقوت بها في طريق عودته.

دعا أبو يعقوب الله أن يحفظه،

وسار فاروس ليلًا، وظل في ذلك السفر أيامًا.

حتى عاد إلى الجزيرة ليلًا، وكان كله سعادة بما ظفر به في تلك الرحلة، فقد اكتسب العلم الذي لا يُقدر بثمن والذي يرفع من شأن الإنسان، وتسمو به الروح ...

لم يشغله ما فقده من أموال، وأنه رجع خاوي الوفاض وبخُفي حنين بعدما سرق اللصوص أمواله في رحلة الذهاب، فقد عاد بأعظم شيء في الوجود، وهو المعرفة عن الله.

obeikandl.com

طرق باب بيته طرقًا خفيفًا، لكن ذلك الطرق كان له أثر عكسي على أهل بيته، فقد خاف أبناؤه وزوجته من ذلك الطرق ليلًا.

شعر فاروس بذلك الخوف الذي يسكن قلوبهم، وقلوب جميع أهل الجزيرة، الخوف الممقوت الخاضع لكل خرافة أو اسطورة أو سطوة طاغية.

قال لهم مشفقًا:

أنا فاروس.

ظل يطرق، وقد أصابهم الرعب، فقد ظنوا أن من يطرق الباب النداها، فكم انتظروها خوفًا ورعبًا وهلعًا،

وقد اعتقدوا أنها جاءت اليوم تنادي بصوت فاروس المحبوب، وعندما لم يجد فاروس أي فائدة من الطرق، وضع أمتعته ونام على باب البيت، وبعد شروق الشمس، فتح حسنس الباب فوجد والده نائمًا خارج البيت بجوار الباب.

أيقظه وأدخله البيت، وسعدوا جميعًا بقدومه، والتفوا حوله.. أخبرهم بطرقه الباب. قالوا جميعًا في أصوات متداخلة: وكيف تسير ليلًا يا أبي على ظهر الجزيرة، حيث

obeikandl.com

إنــه مســرح لصــراع الأشــباح، وتطــرق البــاب لــيلًا ولا تعبــأ بتعاليم معبد أو كاهن أو حراس؟!

قال لهم فاروس:

. وماذا في الليل ليس موجودًا بالنهار؟

قال حسنس -متعجبًا من كلام والده-:

ـ النــداها وأم شــوكة وعروســة البحــر، وغيــرهن مــن الأشــباح المخيفة.

قال فاروس:

. كلها خرافات لا أصل لها ولا وجود.

قالت ماريا -وقد تملكها الغضب-:

. هل تكذِّب الحصان البحري يا فاروس؟

قــال فــاروس، وقــد مــل الجهــل وســلب الإرادة والســطحية التي سكنت عقول البشر:

. أكذبه عندما يكون له وجود، ولكن هو ليس موجود أصلًا، وأنــا أكــذب الكهنــة الكذبــة الــذين أخــذوا أمــوال النــاس بالباطل.

بكــت ماريــا، وارتعــش جســدها مــن البكــاء بحرقــة علــى مــا حــدث لهــا ولزوجهــا وبيتهــا، الــذي هــو على وشــك الانهيــار فمــن يقف أمام المعبد؟ من ذاك الملعون؟! تدور الدنيا بها.

obeikandl.com

ـ هل ذهبت يا فاروس للتجارة، وجئت لنا بالكفر بالحصان البحري؟

أجابها وكله شموخ، وقد رفع رأسه وأشار بإصبعه ناحية السماء:

بل جئت بالإيمان بالله، وبالنور للجزيرة؛ لأحررها من ظلمات الجهل.

الرجاء، الرجاء سلاحها الرجاء.

ليس أمامها إلا استغلال حبه لها لكي تحمله على العودة لتعاليم المعبد.

أشفقت على ما وصل إليه، ومدت يدها له تريده أن يعود.

هل من رأى النور يتركه ويجلس في الظلام؟

هل يستوي الحق والباطل؟

هل بحبوحة الإيمان بالله الرحمن الرحيم تستوي مع الإيمان بالمعبد الملعون وكهنة الظلم والطغيان؟

ترجَّته أن يعود عن معتقده بالله، ويعود للفراغ العقائدي الذي تعيشه .

ترجَّته أن يعود للخرافات والأساطير .

حاولت أن تحافظ عليه من العلم.

ترجته أن يترك النور!

obeikandl.com

ترجتـه وهي تبكي مـن إشـفاقها على عقلـه الـذي سُـلب -في نظرها -.

جرح ينزف

أرجوكِ لا تترجي.

فتلك أمورلا يجدي فيها الرجاء.

ولا الدموع ولا الندم.

جف الود المتبقي.

انكسر الإناء.

تحطمت صورتكِ بخاطري.

وتشردت أحلام

احفظي ماء الوجه

غائرٌ جدًّا ..ذلك الجرح ..من أثر غدرك

فقلبي ينزف.

نزعت خنجركِ المسموم منه بيدي

اذهبِي

...فلا تعنيني في شيء

قالت ماريا وقد ملأت الدموع عينيها:

ـ أنـت مـن اليـوم لسـت زوجي ولا حبيبي، حتى تعـود لمـا كنـت عليـه مـن طاعـة للمعبـد، خرجـت وهي تبكي مـن البيـت عائـدة

obeikandl.com

إلى بيت أبيها ممسكة في يدها ابنها تيتي الصغير، وابنها عوس المعاق ذهنيًّا، ولحقتها سريعًا بنتها مياسا تنادي: أمي أمي.

حزن فاروس لما لقيه من ماريا، ولكن كان متوقع منها ذلك؛ لتعصبها الشديد للمعبد، وكان متيقنًا من أن لابد لكل عظيم أن يضحي، وأن المصلحين هم أشد الناس بلاءً وأكثرهم فداء وتضحية.

ظل فاروس في البيت صامتًا، وكذلك أبناؤه الثلاثة صامتون، ثم جمعهم، وقال لهم:

يا أبنائي، إن تعاليم المعبد ما هي إلا خرافات اكتتبها الكهنة، لا أصل لها، إنما اكتتبوها؛ ليسيطروا على عقول أهل الجزيرة، وليفرضوا عليهم الأموال الطائلة، و ليس لديهم أدلة على شيء مما يقولون؛ لأنهم على باطل، وليسوا على شيء من الحق، لكن الله هو الخالق المدبر الرازق، هو الذي خلق كل شيء، وأرسل الرسل؛ لهداية الناس إلى عبادته، وفرض أخذ بعض الأموال من الأغنياء؛ ليأخذها الفقراء، ذلك هو الإله الحق.

إنه الله رب العالمين.

قال حسنس: آمنت بالله.

obeikandl.com

فقال لاداس: امنت بالله.

وسكت عوكلس، ثم قام وخرج من البيت، ذهب للحانة وجلس مع أصحابه يشرب الخمر، وقد خاف عاقبة ما يقوله والده، وحاول الهروب من كل ما يحدث حوله بشرب الخمر مع أصحابه الذين لم يَرَهم من شهور عديدة، وقد تعود معهم على ظلمة الجهل وحبسة الأوهام، ورضي بتلك الحياة مثلهم.. أجلس فاروس ابنيه، حسنس ولاداس، وأخرج الشرائح، وقرأ عليهما ما تعلم عن الله. قال حسنس: لا تُتعب نفسك يا أبي، فالأمل مفقود في الإصلاح، وكيف نقف نحن وقد غرق الناس في طوفان الجهل وسطوة المعبد؟

ثم قال لهم: يا أبنائي إن الأمل موجود.

أمل.

قال قائل الأمل مفقود.

بحثت الأمم عن المشترك وبحثنا نحن عن السدود.

. لا تقل الأمل مفقود بل الأمل موجود

نعم. لازال عندنا من الأمل عهود

طالما عيناك ترى كل يوم مولود

لكنك لا تراه لأنه مسجون مقيد بقيود

obeikandi.com

نعم مسجون حبسه الجهل والكسل والحدود

تريد شهود؟

سل الأمم كم سال العرق على الخدود

سل البلاد كم بذلت من مجهود

أعطنى يدك بنيّ لنصنع المجد

نعمل أولا ونبذل قصارى جهد

نعطي بلا حد

أحيي الأمل ولنسعى بالود

يفجر ذلك طاقات بلا حدود

يبعث ذلك حضارة عظيمة تكمن بداخلنا وبالمولود

تبتسم السماء وتخضر الأرض وتزهر الورود

تتفتح وتجدد الأمل والعهود

obeikandl.com

obeikandl.com

وأثناء تعليمه لهم سمع صوت ضوضاء، وأصواتًا عالية وكأن كرًّا وفرًّا يحدث بالخارج.

خرج فاروس من منزله، وجد بعض الناس ثائرة وفي كر وفر مع حراس المعبد.

لم يصدق فاروس نفسه ماذا يحدث ؟

من هؤلاء الذين تجرأوا أن يعترضوا على المعبد، ليس اعتراض فقط بل صدام أيضًا؟

وما إن وجد رجلًا يعرفه يهرع إليه هربًا من الجنود مقتربًا من بيته إلا أدخله، وأغلق الباب سريعًا قبل أن يراه أحد من الحراس.

أجلس فاروس الرجل، وجاء له بماء حتى يهدأ، فقد كان يتنفس بشكل غير منتظم، وفي عينيه توعد، يختلط بإصرار على الصدام ولو مات قتيلًا .

فرق القدرات بينه وبين الجنود ظاهر وواضح للأبله!

لم يصدق فاروس ما يراه.

سأله فاروس:

ماذا يحدث، وما الذي جعلك ترشق الحراس بالحجارة وجعلهم يطاردونك؟

ابتلع الرجل ريقه، ثم نظر لفاروس وقال:

obeikandl.com

. لقد قتل المعبد أربعة رجال من خيرة رجال الجزيرة!

تعجب فاروس من قوله، وبدا عليه الذهول!

هل أفاق أهل الجزيرة ؟

هل وقفوا أمام الطغيان؟

هل كفروا بخرافات المعبد؟

أم الأمر مقتصر على بعض الأشخاص؟

كل هذة أسئلة تدور بخلد فاروس فيسأله عن السبب،

فيجيبه الرجل: ـ إن منادي الكاهن عيطا منذ أيام أعلن عن مسابقة داخل المعبد.

. مسابقة ؟!

ـ نعم مسابقة، فكما سمعت أن الملل كاد أن يقتله في ذلك الشتاء، وأرد أن يتسلى، وقد طرأت عليه فكرة

. ما الفكرة؟

. قرر أن يعمل مسابقة لرجال الجزيرة الأقوياء.

. مصارعة؟

ـ لا. إنها لم تكن مصارعة، لكنه يعلم أن هذا الشتاء لم يركب أحد البحر والناس بطونها خاوية.. فقرر أن يقيم مسابقة أمامه لمن يستطيع أن يلتهم كبشًا مشويًّا على الفحم، فقد تمنحه رؤيته لهم وهم يأكلون بنهم شيئًا من

obeikandi.com

كسر الملل، والضحك على تلك المناظر البائسة وهي تأكل طعام الأغنياء.

وما إن سمع الناس بتلك المسابقة إلا وتقدم لها ثلاثة من الرجال الفقراء الذين تقطعت أمعاؤهم جوعا . و دخل المتسابقون الثلاثة، ودخل الناس إلى المعبد لمشاهدة تلك المسابقة طمعًا في أن يسمح لهم عيطا بأكل بعض ما تبقى .

جلس عيطا، وقد انتفخت بطنه من كثرة الطعام، وجلس حوله كبار الحراس والحاشية.

جلس كل متسابق أمام الكبش المشوي المخصص له.

ولكن جميع المتسابقين لم يكونوا على علم بمكر عيطا وحيلته الخبيثة !

فقد أمر الطباخ بأن يقوم بإذابة شحم كل كبش "اللية"

وسكبها على الكباش المشوية!

ولكن المتسابقين يقبلون جميع الشروط والحيل، ولا يعبأون بعاقبة ذلك.

لم يفكر كل متسابق في المسابقة ذاتها، وهل لديه مقدرة على أكل كبش كامل ؟

وهل يستطيع أن ينهيه قبل أقرانه ؟

ولا ماذا سيكسب

obeikandl.com

إنما فكر في أنه سيأكل كبشًا وحده، كم حلم بالأكل منه أيامًا وليالي!

جلس عيطا وحاشيته، وبطانته والخدم والحشم .. جلس وكله عنجهية، وتكبر وطغيان .. جلس وبداخله ضيف ثقيل عليه وهو الملل، فقد ملَّ من كل شيء .. أصناف الطعام المختلفة، أنواع الخمر المختلفة التي يشربها خلسة ، الذهب، المجوهرات .. وجلس المتسابقون، والتف الناس على شكل هلال حول المتسابقين في الناحية المواجهة لعيطا وحاشيته.

نظر عيطا لعويس نظرة هو يفهمها.

فقد اعتادوا على خائنة الأعين، واللمز والغمز وتلك اللغة الخفية بينهم .

جميع المتسابقين ينظرون للكباش كأنهم لم يروا مثلها من قبل، ولا يريدون أن تمر لحظة دون أن تأكل أعينهم الكباش قبل أن تأكلها بطونهم،

وقد برقت أعينهم، وتوقفت الجفون عن الحركة، وتوقفت أشفارهم عن أن تطرف، أمر عويس الحبشي المتسابقين بالبدء، بصوته الجهوري القوي.

بـدأ المتسـابقون في الأكـل بـنهم، وافتـراس .. وكـأن إذن البـدء كـان شـيئًا مفجعًـا، وفـي افتـراس تلـك الفريسـة النجـاة والخلاص من تلك الفاجعة .

المتسـابق الأول رجـل قصـير نحيـف جـدًّا يكـاد لا يُـرى. . لـه وجنتـان بارزتـان، ورأس صـلعة صـغيرة، ورقبـة رفيعـة تبـرز منها تفاحة آدم .

إذا نظـرت إليـه حسـبته طفـلًا عمـره عشـر سـنوات، لكنـه تجاوز الخمسين.

لـه بطـن صـغيرة. إذا أكـل دجاجـة صـغيرة انتفخـت بطنـه كالقربة ولا يستطيع أن يتنفس فكيف بكبش كبير؟!

إنه لا يستطيع أن ينهي الكتف فقط في أسبوع كامل،

ولكـن دفعـه الجـوع لأن يـدخل المسـابقة، ولا يأمـل في انتصـار على أقرانـه، إنمـا يأمـل في الانتصـار على الجـوع الـذي كـاد يلتهم أحشاءه.

نظـر ذلـك المتسـابق للكـبش، واختـار الكتـف، وبـدأ في الأكـل منه بنهم .

نظـر إليـه عيطـا، وظـل يضـحك ضـحكات عاليـة متتابعـة شريرة.

obeikandl.com

ظل عيطا يضحك والدموع تسيل على وجنتيه من شدة الضحك.

والمتسابق الثاني رجل عجوز مسن بلغ من الكبر عتيًّا، البؤس والشقاء لم يعشق أحدًا مثله، أراد أن يأكل كبشًا ولا يدري كيف يأكله، فقد خلا فمه من الأسنان، ولكنه لا يخشى العواقب ولا يفكر فيها أيضًا.. ويا حبذا أن يصاب بتخمة وعسر هضم .

فقد حُرم من أكل لحم الضأن طوال حياته، ويريد أن يشعر بالشبع من أكل لحم الضأن، ولو كان إحساس شبع محملًا بأعراض ملء البطن، ولا بأس بأن يأخذ نصيبه منها أيضًا من تخمة وعسر هضم.

ظل يأكل ، وقد فتح فمه الذي يخلو من الأسنان، ولم يستطع المضغن فظل يبلع ويبلع ويشرب ماءً ويبلع .

وتقع نظرات عيطا عليه فتعلو صيحاته، وتزداد وكأنه أُصيب بحالة ضحك هستيرية! أما المتسابق الثالث، فكان رجلًا قويًّا مفتول العضلات، الجميع كان يظن أنه الفائز بلا أدنى شك، لكن عيطا لم يلتفت إليه فلم يكن به شيء يجذب نظراته.

ظل عيطا يضحك، وجميع الحاشية الشريرة يفعلون كما يفعل .. وفجأة!

سقط الرجل مغشيًّا عليه منكبًّا على الكبش المشوي!

كان رجلًا بلا أسنان، ببطن أكل عليه الزمان وشرب، وأصبح لا يقدر على هضم المياه!

مات الرجل العجوز المسن، فلم يتحمل أكثر من نصف الكتف .

نعم. مات الرجل بعدما حقق أمنيته، فكم تمنى أن يأكل كبشًا مثل الملوك والأمراء، وأبناء الملوك . ظل عيطا يضحك الضحك الهستيري . لم يتمتع عيطا مثل هذه المتعة من قبل. لم يضحك مثل هذا الضحك من قبل.

منظر البؤساء وهم يلتهمون اللحم المشوي يصيبه بضحك هستيري. وزاد ضحكه ضحكًا، سقوط الرجل العجوز منكبًّا على الكبش المشوي.

عيطا تائه في غيابات طغيانه وجبروته وضحكاته الشريرة، وحاشيته تائهون غارقون في نفاقه، وبعد وقت ليس بكثير، سقط الرجل النحيف منكبًّا على اللحم المشوي، الذي لم يستطع إلا ان يفصصه ويأكل أجزاء متفرقه منه.

الكبش كما هو كأنه لم يُؤكل منه شيء .

obeikandl.com

ارتفعت ضحكات عيطا أكثر فأكثر.

الحاشية ينظرون من بعيد على الموقف، ولكنهم لا يعبأون بما يحدث، أهم شيء عندهم رضا عيطا،

ثم جاء ما أيقظ الناس على أن ما يحدث مأساة، وليست مسابقة!

سقط الرجل مفتول العضلات من كثرة الأكل، وثقل اللحم المأكول الممتلئ بالشحوم.

الجميع أصابه الذهول، وعيطا مازال في حالته الهيستيرية.

عيطا يضحك ويضحك!

وكأنه أصبح يتمتع بسقوط هؤلاء المساكين الواحد تلو الآخر.

إنها مأساة.

نعم. إنها مأساة.

ولكنها أيقظت الناس، ثار الناس، وحملوا جثث المتسابقين الثلاثة، وطافوا بها أنحاء الجزيرة، وخرج الكثير من أقاربه يلعنون الكاهن عيطا ودينه!

فسأله فاروس:

ومن القتيل الرابع؟

قال الرجل: إنه عسمتس.

obeikandl.com

أصاب فاروس صدمة وذهول من سماع ذلك الخبر عن عسمتس صديق عمره.

مات عسمتس عندما ذهب وحده إلى المعبد بعد انصراف الناس بالجثث،

وظل يلعن دين الكاهن عيطا، ويلعن المعبد، ويلعن الحصان البحري الساخر،

فخرج إليه الحراس، والتفوا حوله، وأدخله وقتله عويس بسيفه الغاشم،

وقد ثار الناس، وخرج حراس المعبد يطاردون الثوار.

نظر إليه فاروس وهو يفكر في تلك الظروف الصعبة.

فاروس يجلس وكأن على رأسه الطير، ثم نظر إلى الرجل، ومد إليه يده، فأمسك الرجل بها، وخرجا من البيت وتبعهما لاداس وحسنس يهرولان.

ظل فاروس وابناه والرجل يسيرون في الطريق، متجهين ناحية المعبد. وكلما رآهم أحد سار معهم حتى تجمع عدد كبير من الناس خارج المعبد، وقف الحراس لهم؛ ليمنعوهم من الدخول. وقف فاروس مع الناس والأعداد تتزايد وتتزايد، فصعد فاروس على صخرة من البازلت بجانب سور المعبد، ثم خطب في الناس:

obeikandl.com

أيها الناس الشرفاء:

أبدأ بحمد ربي الذي خلقني وخلقكم، الله رب العالمين.

إن المعبد الملعون، معبد الكاهن عيطا ومن سبقوه من الكهنة أخذ أموالكم، و كهنته شغلوا عقولكم بأساطير وخرافات لم ينزل الله بها من سلطان، فلا يستطيع أحد أن يضركم أو ينفعكم إلا الله رب العالمين، فهو الإله الودود الرحيم، لا يريد منكم إلا أن يحب بعضنا بعضًا، ويساعد بعضنا بعضًا، ويعطى الغني الفقير، ويعطي الشبعان للجائع، ويوقر صغيرنا كبيرنا، ويرحم كبيرنا صغيرنا، ويأخذ القوي بيد الضعيف، ومن يطع الله يجعل الله له في الآخرة جنة لا مثيل لها، فيها كل ما يشتهي الإنسان جزاء على طاعته له.

اتركوا عبادة الطاغوت.

اتركوا الخرافات.

اتركوا من سفه عقولكم.

فلا يوجد شيء اسمه الحصان البحري، ولا عروسة البحر، ولا النداها، كلها أساطير، ولا جرجونات، ولا أم شوكة ولا عرس الجن في الحسوم ،كلها أساطير، خدعكم بها كهنة المعبد على مر العصور.

obeikandl.com

اتركـوا مـن قتـل أحبـابكم مـن أجـل أن يضـحك، واعبـدوا الحي الذي لا يموت.

ثم مد يده لأقرب الناس إليه وهو متطلع للخير.

أعطني يدك أخي لنكون بنيانًا من حديد.

نحصد زهورًا رواها دم الشهيد.

سال دمه من الوريد.

ليمسح دموع وطن جريح لديه أمل جديد.

روى الأرض بدمائـه فأنبتـت عـزة وشـرفًا وكرامـة وزهـرت بالمجد.

ضحى بنفسه فأضحى قيمة للأبد.

تعالَ نتعلم ونعلم بالقلم.

تعالَ نبنِ ونصنع ونزرع ونحقق معاني الكلم.

نُعِدْ مجد أجدادنا.

نُعدْ الريادة لنا.

فلا تقل أنا ولكن قل كلنا.

الأمل سر الحياة.

الأمل طوق النجاة.

تعالت أصوات الناس:

نِعم الرب ربك يا فاروس.

obeikandl.com

نِعم الرب ربك.

فقال فاروس: بل ربي وربكم الله.

الله أكبر.

الله أكبر.

تعالت أصوات الناس:

الله أكبر.

الله أكبر.

obeikandl.com

انتشر حسنس، ولاداس بين الناس يعلمان الناس ما تعلموه من أبيهما في تلك الساعات القليلة الماضية.

جن الليل وأسدل سدوله، والناس لا تتحرك فلم يعد شيء يخيفهم ولا يرعبهم.

مرت ليلة والناس تتزايد، جميع أهل الجزيرة يقفون خارج المعبد يريدون الفتك بعيطا ومن معه، أو الرحيل، لا يوجد خيار ثالث لعيطا ومن معه من الدجالين الفشلة.

أرسل عيطا بعويس الحبشي، وقف على السور حتى لا يفتك به الناس، وقال: إن الحصان البحري الساخر ينظر في أمركم، ارجعوا إلى طاعته، وإلا أصابتكم لعناته.

فكر عيطا سريعًا في كلام الرجل.

هل هؤلاء الكهنة، ومن تبعهم لا يعلمون أنهم يتبعون وهمًا؟

أم أنهم يظنون أنهم على حق؟

هل الناس ستظل على موقفها تجاه المعبد أم سرعان ما ينطفئ غضبهم ويعودون للطاعة العمياء؟

لا بد من حيلة! أثناء كلام عويس الحبشي، كانت كل تلك التساؤلات تدور بذهن فاروس، وبعد أن أنهى عويس كلامه، صرخ فيه فاروس:

obeikandi.com

لعنات كاذبة، وأنا أتحدى الحصان البحري الساخر أن يفعل بي شيئًا، ولن أخاف من خستكم، ونذالتكم والتي قد تصيبني بسهم الآن من أعلى برج المراقبة في المعبد، فلإن قُتلت، فقد تركت لكم خلفي رجالًا أقوياء مؤمنين بالله.

سمع الرجل كلام فاروس جميعه، وكله إنصات، ثم نزل من أعلى السور؛ ليبلغ الكاهن عيطا كل ما سمع من فاروس. سمع عيطا من الرجل، ثم سأله عن القائل، فأخبره أن القائل هو فاروس.

استغرب عيطا!

فقد كان يظن أن فاروس أكثر الناس إيمانًا بالحصان البحري الساخر.

وجلس وهو ممسك بالعصا الذهبية يفكر.

إن فاروس وضعه في موقف محرج، ولابد من أن يخرج من هذا المأزق في تلك الظروف المتوترة والتي تشهد ثورة غضب من الناس.

تشاور عيطا مع عويس، وبعد وقت طويل من المشاورات والمناقشة الفاشلة الخائبة، صعد عويس على السور ونادى في الناس:

obeikandl.com

إن الحصان البحري الساخر لا يقبل تحديات حتى يتيقن من قوة من يتحداه وله اختبار.

لابد لمن تطوع له نفسه تحدي الحصان البحري الساخر أن يصارع أحد رجال المعبد، فإن صرعه فله الحق في التحدي،

وأن الكاهن عيطا المعظم يخبركم أنه مستعد لعمل هذا الاختبار الآن.

صرخ فيه فاروس:

أنا المتحدي، ومستعد لذلك الاختبار الخسيس.

تعالت صيحات الناس:

فاروس فاروس.

فاروس فاروس.

نزل عويس من أعلى السور، وبعد قليل عاد ومعه الحراس، وفتحوا الباب الكبير.

دخل فاروس ومعه الكثير من الناس، امتلأ المعبد بالناس، وظل الباقون خارج المعبد، لا يستطيعون الدخول فلا يوجد موضع قدم لأحد بالداخل.

وقف فاروس متيقنًا من النصر، فإيمانه أقوى من أي شيء،

obeikandl.com

وقف عيطا أعلى شرفة المعبد في الدور العلوي وكله تعالٍ وكبر، ثم قال:

صارعه يا عويس واقتله، فقد جنى على نفسه.

تقدم عويس، وتقدم فاروس، ولكن فاروس طلب طلبًا غريبًا!

قال: أريد أن يكون الصراع بجوار المائدة الكبيرة التي كنتم تجمعون الناس حولها، حتى يجلس جميع الناس ويتابعوا المصارعة بكل حيادية.

وافق عيطا، وأشار بالموافقة.

جلس جميع من دخل حول المائدة الطويلة، ووقف فاروس عند طرفها، وقال لعويس: تقدم.

الجميع منتبه لتلك المصارعة.

فاروس رجل قوي لكن عويس أقوى، فهو عبد حبشي، عريض المنكبين، مفتول العضلات، عظيم الكراديس، ضخم الجثة، وقد تكون الغلبة له ويصاب الناس بإحباط أبدي، تقدم عويس وكله ثقة بالنصر؛ لفرق القوة بينه وبين فاروس.

وما إن اقترب من فاروس إلا وصعد فاروس على المائدة، ثم ضرب عويس ضربة قوية برأسه،

obeikandl.com

لها صوت قوي، وكأن شيئًا ينكسر،

بلغ الصوت الناس الذين يقفون خارج المعبد:

سقط عويس قتيلًا!

نعم سقط قتيلًا من تلك الضربة التي نزلت عليه كالصاعقة.

إنها ضربة كالمرازبة.

ضربة مؤيدة من الله -عز وجل- فقد وعد المؤمنين بالنصر.

وتعالى صوت فاروس:

الله أكبر الله أكبر.

وتعالت أصوات الناس:

الله أكبر الله أكبر.

شعر عيطا بالقلة والضآلة، ولم يجد مخرجًا من فتك الناس به إلا بصراخه من الشرفة:

إن موعدك يا فاروس غدًا، بعد شروق الشمس في البحر، فسيصارعك الحصان البحري الساخر نفسه.

رفع الناس فاروس على الأعناق، وتعالت الصيحات: الله أكبر، وقف فاروس خارج المعبد ونادى في الناس:

أيها الناس اخلدوا إلى النوم في منازلكم، وغدًا موعدنا.

لكن الناس أبوا ذلك وقالوا:

obeikandl.com

لـن نتـرك الطرقـات حتى يحكـم الله بيننـا وبـين المعبـد الظـالم، الـذي قتـل أحبابنـا وسـيطر على عقولنـا وعقـول آبائنـا قرونًـا وقرونًا.

جلـس النـاس علـى الأرض وأشـعلوا النيـران، وجلـس بيـنهم فـاروس يعلمهـم عـن الله، وعـن الأنبيـاء، ويحـدثهم عـن اليـوم الآخر ويدعوهم إلى الأخلاق الكريمة حتى أشرقت الشمس.

وبعـد الشـروق وقـف فـاروس. ووقـف الكثيـر مـن النـاس ممـن لم ينم، ونادى رجل منهم، أيها الناس:

اسـتيقظوا ، حتـى اجتمـع كـل النـاس أمـام بوابـة المعبـد، وصرخ فاروس:

هيا يا عيطا.

أنجز وعدك.

أين الحصان البحري الساخر الذي تزعم؟

ثم تعالت صيحات الناس:

إذا لـم تخـرج يـا عيطـا أنـت ومـن معـك وتكمـل التحـدي وإلا اقتحمنا معبدك وقتلناكم جميعًا.

خـرج أحـد الحـراس، وقـال لهـم: بعـد قليـل سـيخرج عيطـا، وجميـع الجنـود والحـراس، وسـيتجهون ناحيـة شـاطئ الميناء،

مـــن أراد أن يســـبقهم فليفعـــل ومـــن أراد أن يـــذهب معهـــم فليفعل.

قال فاروس: . بل نذهب جميعًا إلى الشاطئ.

خرج عيطا في أحسن ثيابه مرتديًا جلد الفهد الثمين،

ممسكًا بالعصا الذهبية،

وحولـه أكثـر مـن مائـة حـارس، متقلـدًا سـيفه، سـار بـبطء، وحولـه الحـراس، ومـن حـولهم آلاف النـاس حتـى وصـلوا لشاطئ الميناء.

ـ أراد فـاروس أن ينهي تلـك الأسـاطير بـأن لا يقتصـر على قتـل البعوض، إنما أراد تجفيف المستنقعات.

قـال لعيطـا: ومـاذا لـو ركبـت البحـر حتى أغيـب عـن الأعـين، ثـم عدتُ سالمًا؟!

قال له عيطا:

لـــو أنـــت عـــدت ســـالمًا، فســـأترك أنـــا، والمؤمنـــون بالحصـــان البحـري الجزيـرة. سـمع النـاس مـا قالـه عيطـا، وجـاء رجـل مـن الناس، وكله حماس بسيف كبير، وقال له:

خذ يا فاروس هذا السيف،

فلابد أن تحتاجه حتى تعود سالمًا.

أخذ فاروس السيف، وركب قاربه وأبحر.

obeikandl.com

سار القارب في البحر، واختفى عن أعين الناس، كان فاروس يعلم أنه لن يجد شيئًا، ولكنه ظل يفكر في أمر الحصان البحري الساخر.

هل هو أسطورة وخرافة، صنعها الكهنة للسيطرة على عقول الناس والسطو على أموالهم، أم هو الشيطان الرجيم الخناس، الذي يخشى كل مؤمن ويخاف من ذكر الله؟

سواء أكان أسطورة أو الشيطان الرجيم فلن يظهر.

فكر فاروس، وهداه عقله لشيء يمحو به آثار الحصان البحري وتعاليمه من عقول الناس في الجزيرة، فلو عاد إلى الجزيرة ولم يحك الصراع بينه وبين الحصان البحري الساخر، فقد يخترع عيطا أي حيلة يبرر بها عدم خروج الحصان البحري للصراع، فقد يدعي أنه رحم فاروس وعفا عنه.

قد يدعي أنه تنزه عن صراع فاروس.

قد يدعي أن فاروس مندس عليهم من الهكسوس.

فقرر فاروس أن يستخدم حيلة للقضاء على الحصان البحري نهائيًا.

قطّع فاروس قطعة صغيرة من الشرائح المحفور عليها، وصاد بها سمكة ارانطا، ثم قطع السمكة نصفين،

ووضع حافة السيف ناحية دماء السمكة، حيث عرق الدم في ظهر السمكة، فصار السيف وكأنه غائر في رقبة الحصان البحري الساخر من كثرة الدماء التي علقت به.

عاد فاروس وهو متقلدًا سيفه الأحمر من كثرة الدماء، وتعالت الصيحات: الله أكبر الله أكبر.

وصل فاروس إلى الشاطئ، ورفع سيفه وقال :

لقد قتلت الحصان البحري الساخر.

انتهت تلك الأسطورة إلى الأبد.

إنه ضعيف وجهول وسيئ المنظر.

لم يجد فاروس أفضل من ذلك الأسلوب ليتعامل به مع تلك الأسطورة حتى تنتهي للأبد.

وما إن شاهد عيطا ذلك إلا وتحركت مركبه هو ومن معه متجهين شمالًا تاركين الجزيرة وأهلها، فارين من بطش الناس وثورتهم بعد أن افتضح أمر الحصان البحري الساخر.

تعجب الناس عندما وجدوا ماريا وابنها عوكلس بهرولان ويشقان الصفوف والجموع ويقفزان في مركب الفارين من

obeikandl.com

المعبد. فكيف لزوجة فاروس وابنه ألا يتبعان النور الذي جاء به؟! لكن الأمر متعلق بالعقيدة، وقد انعقد قلبهما على حب تلك الخرافة المسماة بالحصان البحري الساخر.

كان فرار عيطا جبنًا وخسة بعدما انفضح أمره هو ومن معه أمام الناس، وخشى العاقبة المأساوية وهي الصلب على أيدي الناس، أما فرار ماريا وابنها عوكلس، ففرار تعصب أعمى للوهم، وأمثال هؤلاء هم الوقود لكل أسطورة وخرافة .. عاشت الجزيرة بعد ذلك في خير وسلام يعطي الغني الفقير، ويساعد القوي الضعيف.. سمى الناس الجزيرة جزيرة فاروس تكريمًا له على بطولاته في تخليص الجزيرة من الجهل والخرافات وسيطرة وسطو المعبد الملعون. ولازالت ذرية فاروس تعلم الناس الخير في الجزيرة حتى جاء الإسكندر الأكبر، وضم الجزيرة إلى راقودة، ووصل بينهم وأصبحت مدينة الإسكندرية عروس بحر الروم.

ثم صارت منارة العلم والعلماء في العالم القديم، وساهمت ذرية فاروس جيلًا بعد جيل في تلك الإنجازات، فشاركت في بناء مكتبة الإسكندرية، وكذلك في بناء منارة الإسكندرية، وستظل إلى الأبد تعلم الناس الخير..

obeikandl.com

١٦٥٨٣/ ٢٠١٤ط١

الترقيم الدولى / ٤- ٩٢ - ٥٣١١ - ٩٧٧ - ٩٧٨

احصل على نسختك من مقر الدار بتخفيض ٣٠%

٢٤ ش ستي درويش - كوم الدكة - اسكندرية

obeikandl.com